58-تفسير سورة قد سمع(المجادلة)-مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله، و جادلته إلى رسول الله ﷺلما حرَّمها على نفسه،بعد الصحبة الطويلة، و الأولاد،

و كان هو رجلا شيخا كبيرا، فشكت حالها و حاله إلى الله و إلى رسول الله ﷺ و كررت ذلك، و أبدت فيه و أعادت.

*** الصحيح المسند من أسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة

2419 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ،
لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ
وَ أَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ:
فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}
[المجادلة:1] " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ
سنن ابن ماجه -[حكم الألباني] صحيح
2063 - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ:
" تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ،
إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ،
وَ هِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هِيَ تَقُولُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي،
حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي،
اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ،
فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ:
{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}
[المجادلة: 1]()

فقال تعالى:

الظهار و كفارته1-4

(وسمع سمعه) أي يدرك كل صوت.

(ويخفى علي) تريد أنها تشكو سرا حتى يخفى عليها بعضه وأنا حاضرة كلامها.

(ونثرت له ما في بطني) أي أكثرت له الأولاد. تريد أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده.
يقال امأة تثور كثيرة الأولاد] .

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ

أي: تخاطبكما فيما بينكما،

﴿تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾

لجميع الأصوات، في جميع الأوقات، على تفنن الحاجات.

﴿بَصِيرٌ﴾

يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء،

و هذا إخبار عن كمال سمعه و بصره،

و إحاطتهما بالأمور الدقيقة و الجليلة،

و في ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، و يرفع بلواها،

و لهذا ذكر حكمها، و حكم غيرها على وجه العموم، فقال:

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ

المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته:

"أنت علي كظهر أمي"

أو غيرها من محارمه،

أو "أنت علي حرام"

و كان المعتاد عندهم في هذا لفظ "الظهر" و لهذا سماه الله "ظهارا" فقال:

{ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ}

أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم أنه لا حقيقة له،

فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟

و لهذا عظم الله أمره و قبحه، فقال:

{إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ}

أي: قولا شنيعا،

{وَزُورٗاۚ} أي: كذبا.

{وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ}

عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

{وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}

اختلف العلماء في معنى العود،

فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها،

و أنه بمجرد عزمه تجب عليه الكفارة المذكورة،

و يدل على هذا، أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها تكون قبل المسيس،

و ذلك إنما يكون بمجرد العزم،

و قيل: معناه حقيقة الوطء، و يدل على ذلك أن الله قال:

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ}

و الذي قالوا إنما هو الوطء.

و على كل من القولين

{ف} إذا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ }

} مُؤْمِنَةٍ كما قيدت في آية أخرى ذكر أو أنثى،

بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة بالعمل.

{مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا } أي:

يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة.

{ذَٰلِكُمْ }

الحكم الذي ذكرناه لكم،

{تُوعَظُونَ بِهِۦ}

أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به،

***تزجرون به

لأن معنى الوعظ ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب،

فالذي يريد أن يظاهر، إذا ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه،

{وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ}

فيجازي كل عامل بعمله.

***(خَبِيرٌ)

بما يصلحكم عليم بأحوالكم

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

{ فَمَن لَّمْ يَجِدْ}

رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو لم يجد ثمنها

{فـ}

عليه

{فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ}

الصيام

{يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا }

إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، و إما بأن يطعم كل مسكين مُدَّ بُرٍّ أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة،

كما هو قول طائفة أخرى.

(ذَلِكَ)

الحكم الذي بيناه لكم، و وضحناه لكم

***و قد تقدمت الاحاديث الآمرة بهذا علي الترتيب كما في الحديث:

صحيح البخاري

1936 – عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟»

قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ،

قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ،

فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ،

قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ

أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَ العَرَقُ المِكْتَلُ –

قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا،

قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ»

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي،

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ،

ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»( )

(هلكت) فعلت ما يستوجب الهلاك والعقوبة.

(وقعت على امرأتي) جامعتها.

{لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ}

و ذلك بالتزام هذا الحكم و غيره من الأحكام، و العمل به،

فإن التزام أحكام الله، و العمل بها من الإيمان،

بل هي المقصودة و مما يزيد به الإيمان و يكمل و ينمو.

{وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ}

التي تمنع من الوقوع فيها،

فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

{وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

و في هذه الآيات، عدة أحكام:

1-لطف الله بعباده و اعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة،

و أزالها و رفع عنها البلوى،

2-بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.

3-أن الظهار مختص بتحريم الزوجة،

(رقبة) عبد مملوكا أو أمة.

(تعتقها) تحررها من الرق. (فمكث) جلس ينتظر.

(الحرتين) مثنى حرة وهي أرض ذات حجارة سوداء والمدينة بين حرتين.

(أنيابه) هي الأسنان الملاصقة للرباعيات وهو علامة شدة ضحكه ﷺ

وكان ذلك منه تعجبا من حال الرجل وسرورا من حسن توسله وتلطفه للوصول إلى مقصوده]

لأن الله قال {مِنْ نِسَائِهِمْ} فلو حرم أمته،

لم يكن ذلك ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام و الشراب،

تجب فيه كفارة اليمين فقط.

4–أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها،

لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار،

كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه.

5– أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكرا من القول و زورا.

١ – تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته،

لأن الله تعالى قال: {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ}

٢ – أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته و يسميها باسم محارمه،

كقوله " يا أمي " " يا أختي " و نحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.

أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر،

على اختلاف القولين السابقين لا بمجرد الظهار.

٣ – أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير و الكبير، و الذكر و الأنثى،

لإطلاق الآية في ذلك.

6– أنه يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله.

بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس و الوطء في أثنائها.

7– أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس،

أن ذلك أدعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع،

و علم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة،بادر لإخراجها.

8–أنه لا بد من إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا،

و دفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك،

لأن الله قال: {فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ)

تهديد الكافرين5-6

محادة الله و رسوله:

مخالفتهما و معصيتهما خصوصا في الأمور الفظيعة،

كمحادة الله و رسوله بـــــالكفر،

و معاداة أولياء الله.

و قوله:(كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ)

أي: أذلوا و أهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقا.

و ليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق،

(وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ)

و قد أنزل من الآيات البينات و البراهين ما يبين الحقائق و يوضح المقاصد،

فمن اتبعها و عمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين،

{وَلِلْكَٰفِرِينَ }

بها

{عَذَابٌ مُّهِينٌ }

أي: يهينهم و يذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم الله و أذلهم.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

يقول الله تعالى: { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا}

فيقومون من أجداثهم سريعا" فيجازيهم بأعمالهم

{فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ }

من خير و شر، لأنه علم ذلك، و كتبه في اللوح المحفوظ،

{أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ }

و أمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته، هذا

{و}

العاملون قد نسوا ما عملوه، و الله أحصى ذلك.

{وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

بالظواهر و السرائر، و الخبايا و الخفايا.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧

احاطة علم الله 7

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)

و لهذا أخبر عن سعة علمه و إحاطته بما في السماوات و الأرض من دقيق و جليل. و أنه

مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ

والمراد بهذه المعية معية العلم و الإحاطة بما تناجوا به و أسروه فيما بينهم،

*** { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة: 78]

(ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)

ولهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)

*** قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَ اخْتَتَمَهَا بِالْعِلْمِ.

ثم قال تعالى:

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ

أدب المناجاة وتقديم الصدقة للنبى عند المناجاة 8-13

النجوى :

التناجي بين اثنين فأكثر، و قد تكون في الخير، و تكون في الشر.

فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا

بالبـــــر:-

و هو اسم جامع لكل خير و طاعة، و قيام بحق لله و لعباده

و التقوى و هي هنا :-

اسم جامع لترك جميع المحارم و المآثم،

فالمؤمن يمتثل هذا الأمر الإلهي،

فلا تجده مناجيا و متحدثا إلا بما يقربه من الله، و يباعده من سخطه،

و الفاجر يتهاون بأمر الله، و يناجي بالإثم و العدوان و معصية الرسول،

كالمنافقين الذين هذا دأبهم و حالهم مع الرسول ﷺ.

قال تعالى (وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)

أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك،

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة

7061 –عن عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو:

" أَنَّ الْيَهُودَ أَتَت النَّبِيَّ ﷺ

فَقَالَتْ: السَّامُ عَلَيْكَ، وَ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ:

{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ} [المجادلة:8] ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ}

فَقَرَأَ إِلَى قَوْلِهِ {فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [المجادلة:8]

*** مسند أحمد ط الرسالة –

25029 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ،

فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَ عَلَيْكَ

قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ،

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ،

فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَ عَلَيْكَ " قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ،
فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ،
قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَ غَضَبُ اللهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَ الْخَنَازِيرِ،
أَتُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ بِهِ اللهُ؟
قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ،
فَقَالَ: " مَهْ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَ لَا التَّفَحُّشَ،
قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ،
وَ لَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى
1-يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَ ضَلُّوا عَنْهَا،
2-وَ عَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَ ضَلُّوا عَنْهَا،
3-وَ عَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ "

(ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ)

أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب و الشهادة عنهم، و هو قولهم:

(لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ)

و معنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك،

و يستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور،

قال تعالى في بيان أنه يمهل و لا يهمل:

(حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ)

أي:تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء و عذاب عليهم ، تحيط بهم،

و يعذبون بها

(فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)

و هؤلاء المذكورون

1– إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان،

و يخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا

و هم كذبة في ذلك،

2–و إما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي ﷺ ،

قالوا: « السام عليك يا محمد » يعنون بذلك الموت.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾

*** ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مُؤَدِّبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُونُوا مِثْلَ الْكَفَرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ}

أَيْ: كَمَا يَتَنَاجَى بِهِ الْجَهَلَةُ مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ مَنْ مَالأهم عَلَى ضَلَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ،

{وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

أَيْ: فَيُخْبِرُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمُ الَّتِي أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ، وَ سَيَجْزِيكُمْ بِهَا

صحيح البخاري

4685 - عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ:

بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ،
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ - أَوْ قَالَ:
يَا ابْنَ عُمَرَ - سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺفِي النَّجْوَى؟
فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:
يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ –
وَ قَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ،
تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ:
رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَ أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ،
ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ،
وَ أَمَّا الآخَرُونَ - أَوِ الكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ:
{هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: 18]

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

يقول تعالى: (إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ)

أي:تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر و الخديعة، و طلب السوء

(مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ)

الذي كيده ضعيف و مكره غير مفيد.

(لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)

هذا غاية هذا المكر و مقصوده،

***ليسوءهم

صحيح البخاري

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ»( )

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية و النصر على الأعداء، و قال تعالى:

﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾

فأعداء الله و رسوله و المؤمنين، مهما تناجوا و مكروا،

فإن ضرر ذلك عائد إلى أنفسهم،

و لا يضر المؤمنين إلا شيء قدره الله و قضاه،

***وَ مَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَ لِيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

(تختلطوا بالناس) تصبحوا أكثر من ثلاثة.

(أجل أن يحزنه) وفي نسخة (أجل أن ذلك يحزنه)

وفي [الأدب المفرد] للمصنف (من أجل أن ذلك يحزنه) أي من أجل أن المناجاة دونه تزعجه وتسيئه]

أي: ليعتمدوا عليه و يثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه،

و تولى أمر دينه و دنياه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ)

هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين،إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم

و احتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس،

فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود.

و ليس ذلك بضار للجالس شيئا،

فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو،

و الجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له،

و من وسع لأخيه، وسع الله عليه.

*** صحيح البخاري - 6269

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»

(وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ)

أي: ارتفعوا و تنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،

(فَٱنشُزُواْ)

أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة،

فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم و الإيمان،

(يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍۚ)

و الله تعالى يرفع أهل العلم و الإيمان درجات

بحسب ما خصهم الله به، من العلم و الإيمان.

***صحيح مسلم -817

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ،

فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى،

قَالَ: وَ مَنِ ابْنُ أَبْزَى؟

قَالَ:مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟

قَالَ:إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ،

قَالَ عُمَرُ:أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺقَدْ قَالَ

«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)

فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

و في هذه الآية:-

فضيلة العلم، و أن زينته وثمرته التأدب بآدابه و العمل بمقتضاه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ)

يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد ﷺتأديبا لهم و تعليما، و تعظيما للرسول

(ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ)

فإن هذا التعظيم، خير للمؤمنين و أطهر

أي:بذلك يكثر خيركم و أجركم،

و تحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول و الأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها،

فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على الخير و العلم، فلا يبالي بالصدقة،

و من لم يكن له حرص و لا رغبة في الخير،

و إنما مقصوده مجرد كثرة الكلام،

فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول،

هذا في الواجد للصدقة،

(فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

و أما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر،

بل عفا عنه و سامحه، و أباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

(ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ)

ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين،

و مشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة،

سهل الأمر عليهم، و لم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة،

و بقي التعظيم للرسول و الاحترام بحاله لم ينسخ،

لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه،

و إنما المقصود هو الأدب مع الرسول و الإكرام له،

و أمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال:

(فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟)

أي: لم يهن عليكم تقديم الصدقة، و لا يكفي هذا،

فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هينا على العبد، و لهذا قيده بقوله:

(وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ)

أي: عفا لكم عن ذلك،

(فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ)

بأركانها و شروطها، و جميع حدودها و لوازمها،

(وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ)

المفروضة في أموالكم إلى مستحقيها.

و هاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية و المالية،

فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله و حقوق عباده،

و لهذا قال بعده:

(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ)

و هذا أشمل ما يكون من الأوامر.

و يدخل في ذلك طاعة الله و طاعة رسوله، بامتثال أوامرهما

و اجتناب نواهيهما، و تصديق ما أخبرا به،

و الوقوف عند حدود الله .

و العبرة في ذلك على الإخلاص و الإحسان، و لهذا قال:

(وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ)

فيعلم تعالى أعمالهم، و على أيّ وجه صدرت،

فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ
إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾

موالاة الكفار و عاقبتها 14-22

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم)

***ينكر الله تعالي علي المنافقين في هذه الآيات كما قال تعالى

[مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا[[النساء: 143]

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة 2147

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ
قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ،
فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلَامَ سَبَبْتَنِي - أَوْ شَتَمْتَنِي أَوْ نَحْوَ هَذَا -؟
قَالَ: وَ جَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُجَادَلَةِ:

{وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [المجادلة14]

وَ الْآيَةُ الْأُخْرَى

يخبر تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين،

من اليهود و النصارى و غيرهم ممن غضب الله عليهم،

و نالوا من لعنة الله أوفى نصيب،

(مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

و أنهم ليسوا من المؤمنين و لا من الكافرين،

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ} [النساء: 143]

فليسوا مؤمنين ظاهرا و باطنا لأن باطنهم مع الكفار، و لا مع الكفار ظاهرا و باطنا،

لأن ظاهرهم مع المؤمنين، و هذا وصفهم الذي نعتهم الله به،

(وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

و الحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب،

فيحلفون أنهم مؤمنون، و هم يعلمون أنهم ليسوا مؤمنين.

***اليمين الغموس

(أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)

فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذابا شديدا،

لا يقادر قدره، و لا يعلم وصفه،

(إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

حيث عملوا بما يسخط الله و يوجب عليهم العقوبة و اللعنة.

(ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أي: ترسا و وقاية، يتقون بها من لوم الله و رسوله و المؤمنين،

فبسبب ذلك صدوا أنفسهم و غيرهم عن سبيل الله،

و هي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم.

و من صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم،

(فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ)

حيث استكبروا عن الإيمان بالله و الانقياد لآياته،

أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يفتر عنهم ساعة و لا هم ينظرون.

***فِي مُقَابَلَةِ مَا امْتَهَنُوا مِنَ الْحَلِفِ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي الْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ الْحَانِثَةِ.

(لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ)

فلا تدفع عنهم شيئا من العذاب، و لا تحصل لهم قسطا من الثواب،

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ)

الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها،

و (هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

و من عاش على شيء مات عليه.

(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا)

فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين،

و يحلفون لهم أنهم مؤمنون،

فإذا كان يوم القيامة و بعثهم الله جميعا،

(فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ)

حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين،

(وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ)

و يحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء،

لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئا فشيئا، حتى غرتهم و ظنوا أنهم على شيء يعتد به، و يعلق عليه الثواب،

(أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ)

و هم كاذبون في ذلك،

و من المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب و الشهادة.

(ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)

و هذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم،

و زين لهم أعمالهم، و أنساهم ذكر الله،

و هو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر،

{ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6]

***سنن أبي داود -حكم الألباني : حسن

547 - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ،

فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»،

قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ : الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ

الذين خسروا دينهم و دنياهم و أنفسهم و أهليهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ)

***يُحَادُّونَ:المحادين الذين هم في حد و الشرع في حد أو المجانبون للحق

(ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ)

الاشقياء البعيدين المطرودين عن الصواب الاذلين في الدنيا و الاخرة

هذا وعد و وعيد، وعيد لمن حاد الله و رسوله بالكفر و المعاصي،

أنه مخذول مذلول، لا عاقبة له حميدة، و لا راية له منصورة.

﴿كَتَبَ﴾

*كتب الله في اللوح المحفوظ

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾

و وعد لمن آمن به، و برسله، و اتبع ما جاء به المرسلون،

فصار من حزب الله المفلحين، أن لهم الفتح و النصر و الغلبة في الدنيا و الآخرة،

و هذا وعد لا يخلف و لا يغير،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريده.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

أي: لا يجتمع هذا و هذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله و اليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان و لوازمه،

من محبة من قام بالإيمان و موالاته،

و بغض من لم يقم به و معاداته، و لو كان أقرب الناس إليه.

و هذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته و المقصود منه،

***كقوله {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

[التوبة: 24]

وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

{أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ }

و أهل هذا الوصف هم الذين كتب الله

(فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ)

أي: رسمه و ثبته و غرسه غرسا، لا يتزلزل، و لا تؤثر فيه الشبه و الشكوك.

(وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ)

و هم الذين قواهم الله بروح منه أي:

بوحيه، و معونته، و مدده الإلهي و إحسانه الرباني.

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ

و هم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار،

و لهم جنات النعيم في دار القرار،

التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس،

و تلذ الأعين، و تختار، و لهم أكبر النعيم و أفضله،

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ

و هو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا،

و يرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات،

و وافر المثوبات، و جزيل الهبات، و رفيع الدرجات

بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، و لا فوقه نهاية .

–و أما من يزعم أنه يؤمن بالله و اليوم الآخر:

و هو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره،

فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له،

فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى،

لا تفيد شيئا و لا يصدق صاحبها.

أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

***عباد الله و اهل كرامته

59–تفسير سورة الحشر–مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟

أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾

إلى آخر القصة.

*** صحيح البخاري

4882 - سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ»( )

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول

المستدرك على الصحيحين للحاكم

3797 - عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَ هُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ

وَ كَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ،

فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ،

وَ عَلَى أَنَّ لَهُمُ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَ الْأَمْوَالِ إِلَّا الْحَلْقَةَ، يَعْنِي السِّلَاحَ،

(الفاضحة) سميت بذلك لأنها فضحت المنافقين وكشفت معايبهم]

فَأَنْزَلَ اللّهُ فيهِمْ {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}
إِلَى قَوْلِه {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا} [الحشر:2]
فَقَاتَلَهُمُ النّبِيُّ ﷺحَتّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاء،
فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشّامِ وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا
وَ كَانَ اللّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ
وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَعَذّبَهُمْ فِي الدّنْيَا بِالْقَتْلِ وَ السّبْيِ،
و أَمّا قَوْلُهُ {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر:2]
فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوّلَ حَشْرٍ فِي الدّنْيَا إِلَى الشّامِ
هذه السورة تسمى (سورة بني النضير)
و هم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة،
وقت بعثة النبي فلما بعث النبي و هاجر إلى المدينة،
كفروا به في جملة من كفر من اليهود،
فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة،
فلما كان بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها،
خرج إليهم النبي ﷺ و كلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري،
فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك،
فخلا بعضهم ببعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم،

فتآمروا بقتله ،

و قالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟

فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا،

فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا،

فو الله ليخبرن بما هممتم به، و إنه لنقض العهد الذي بيننا و بينه،

و جاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به،

فنهض مسرعا، فتوجه إلى المدينة، و لحقه أصحابه،

فقالوا: نهضت و لم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به.

و بعث إليهم رسول الله :

« أن اخرجوا من المدينة و لا تساكنوني بها، و قد أجلتكم عشرا،

فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه »

فأقاموا أياما يتجهزون، و أرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول :

« أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم،

فيموتون دونكم، و تنصركم قريظة و حلفاؤكم من غطفان » .

و طمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له، و بعث إلى رسول الله ﷺ

يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبر رسول الله ﷺو أصحابه، و نهضوا إليهم،

و علي بن أبي طالب ﷺ يحمل اللواء.

فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل و الحجارة، و اعتزلتهم قريظة،

و خانهم ابن أبي و حلفاؤهم من غطفان،

فحاصرهم رسول الله و قطع نخلهم و حرق.

فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة،

فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم، و ذراريهم،

و أن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، و قبض رسول الله الأموال و السلاح.

و كانت بنو النضير، خالصة لرسول الله لنوائبه و مصالح المسلمين،

و لم يخمسها،

لأن الله أفاءها عليه، و لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب،

و أجلاهم إلى خيبر و فيهم حيي بن أخطب كبيرهم،

و استولى على أرضهم و ديارهم، و قبض السلاح،

فوجد من السلاح خمسين درعا، و خمسين بيضة، و ثلاثمائة و أربعين سيفا،

هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير.

اجلاء بنى النضير 1-5

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)

فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات و الأرض

تسبح بحمد ربها، و تنزهه عما لا يليق بجلاله، و تعبده و تخضع لجلاله

لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء،

***كقوله { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}

[الإسراء: 44]

(وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)

و لا يستعصي عليه مستعصي الحكيم في خلقه و أمره،

فلا يخلق شيئا عبثا، و لا يشرع ما لا مصلحة فيه،

و لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ

و من ذلك، نصر الله لرسوله على الذين كفروا من أهل الكتاب من بني النضير حين غدروا برسوله

فأخرجهم من ديارهم و أوطانهم التي ألفوها و أحبوها.

و كان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يد رسوله محمد ﷺ فجلوا إلى خيبر،

و دلت الآية الكريمة أن لهم حشرا و جلاء غير هذا،

فقد وقع حين أجلاهم النبيﷺ من خيبر، ثم عمر رضي الله عنه، أخرج بقيتهم منها.

(مَا ظَنَنتُمْ)

أيها المسلمون

(أَن يَخۡرُجُواْۖ)

من ديارهم، لحصانتها، و منعتها، و عزهم فيها.

(وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ)

فأعجبوا بها و غرتهم، و حسبوا أنهم لا ينالون بها،

و لا يقدر عليها أحد، و قدر الله تعالى وراء ذلك كله،

لا تغني عنه الحصون و القلاع، و لا تجدي فيهم القوة و الدفاع.

*** {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل: 26]

و لهذا قال:

(فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ)

أي: من الأمر و الباب، الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه،

و هو أنه تعالى

(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ)

و هو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر،

الذي لا ينفع معه عدد و لا عدة، و لا قوة و لا شدة،

فالأمر الذي يحتسبونه و يظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، و اطمأنت نفوسهم إليها،

و من وثق بغير الله فهو مخذول، و من ركن إلى غير الله فهو عليه وبال ،

فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم،

التي هي محل الثبات و الصبر، أو الخور و الضعف،

فأزال الله قوتها و شدتها، و أورثها ضعفا و خورا و جبنا،

لا حيلة لهم و لا منعة معه ، فصار ذلك عونا عليهم،

* صحيح البخاري438

جَابِرُ بْنُ عَبْد اللّه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهﷺ:

" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي:

1-نُصِرْتُ بِالرّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،

2- وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا،

وَ أَيّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمّتِي أَدْرَكَتْهُ الصّلاَةُ فَلْيُصَلّ،

3-وَ أُحِلّتْ لِي الغَنَائِمُ،

4-و كَانَ النّبِيّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصّةً، وَ بُعِثْتُ إِلَى النّاسِ كَافّةً،

5-و أُعْطِيتُ الشّفَاعَةَ ()

و لهذا قال:

(يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ)

و ذلك أنهم صالحوا النبي، على أن لهم ما حملت الإبل.

فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسنوها،

(أدركته الصلاة) حان عليه وقتها في مكان ما.

(أعطيت الشفاعة) العظمة أو غيرها مما اختص به]

و سلطوا المؤمنين بسبب بغيهم على إخراب ديارهم و هدم حصونهم،

فهم الذين جنوا على أنفسهم، و صاروا من أكبر عون عليها،

*** فَأَجْلَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمِعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ،

وَ ظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ،

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِبَالِهِمْ،

وَ سَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَ أَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ،

فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَذْرِعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ

وَ هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَ الْمَنْشَرِ، وَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ.

وَ كَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ،

فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ مَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُحْمَلَ مَعَهُمْ؛

(فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ)

أي: البصائر النافذة، و العقول الكاملة،

فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق،

المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، و لا منعتهم قوتهم،

و لا حصنتهم حصونهم،

حين جاءهم أمر الله، و وصل إليهم النكال بذنوبهم،

و العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار،

و هو اعتبار النظير بنظيره،

و قياس الشيء على مثله،

و التفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني و الحكم التي هي محل العقل و الفكرة،

و بذلك يزداد العقل، و تتنور البصيرة و يزداد الإيمان،

و يحصل الفهم الحقيقي،

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة،

و أن الله خفف عنهم.

فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم و قضاه عليهم و قدره بقدره الذي لا يبدل و لا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا و نكالها،

و لكنهم – و إن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي –

فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن أن يعلم شدته إلا الله تعالى،

فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت و فرغت و لم يبق لهم منها بقية،

فما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة أعظم و أطم

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم
مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ
أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ
رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ
ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ
بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ
إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ }

و ذلك لأنهم

(شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ)

و عادوهما و حاربوهما، و سعوا في معصيتهما.

{وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }

و هذه عادته و سنته فيمن شاقه

{ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ }

و لما لام بنو النضير رسول الله ﷺو المسلمين في قطع النخيل و الأشجار،
و زعموا أن ذلك من الفساد، و توصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين،
أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، و أمره
حيث سلطكم على قطع نخلهم، و تحريقها،
ليكون ذلك نكالا لهم، و خزيا في الدنيا، و ذلا يعرف به عجزهم التام،
الذي ما قدروا على استنقاذ نخلهم، الذي هو مادة قوتهم.

***صحيح البخاري

2326 - عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَ قَطَعَ»

صحيح البخاري

4028 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
" حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَ قُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ،
وَ أَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَ مَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ،
وَ قَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَ أَوْلاَدَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺفَآمَنَهُمْ وَ أَسْلَمُوا،
و أَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ،

وَ هُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَ يَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَ كُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ ( ) صحيح مسلم -

(1746) عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ،

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺحَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَ قَطَعَ وَ هِيَ الْبُوَيْرَةُ»، زَادَ قُتَيْبَةُ، وَ ابْنُ رُمْحٍ فِي حَدِيثِهِمَا:

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: 5]( )

*أورد الشيخ الوادعي هذا الحديث في الصحيح المسند من اسباب النزول

صحيح البخاري

4032 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺحَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ "

قَالَ:وَ لَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَ هَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

(حاربت) نقضت العهد وصارت محاربة.

(النضير وقريظة) قبيلتان من قبائل اليهود.

(من عليهم) أطلقهم ولم يأخذ منهم شيئا.

(حتى حاربت) نقضت العهد وأثارت قريشا ضد المسلمين.

(بعضهم) بعض رجال قريظة. (رهط) جماعة]

(حرق نخل بني النضير وقطع)

أي أكثر إحراقها بالنار وقطع بعضها وبنو النضير طائفة من اليهود

(البويرة) موضع نخل بني النضير

قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ،

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ ... وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ( )

{لِينَةٍ}

اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات و أولاها،

فهذه حال بني النضير، و كيف عاقبهم الله في الدنيا.

ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال:

{وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ}

حكم الفيء 6-7

أي: من أهل هذه القرية، و هم بنو النضير.

{ ف }

إنكم يا معشر المسلمين

{فَمَآ أَوْجَفْتُمْ }

أي: ما أجلبتم و أسرعتم و حشدتم،

(أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب وكان يومها كافرا وأسلم يوم الفتح.

(نواحيها) وهي المدينة وسائر مواضع الإسلام في حينها.

(السعير) النار الشديدة.

(بنزة) في بعد من السوء.

(أي أرضينا) بلدينا المدينة ومكة.

(تضير) يصيبها الضرر]

{عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا}

أي: لم تتعبوا بتحصيلها، لا بأنفسكم و لا بمواشيكم،

بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأتتكم صفوا عفوا،

{رِكَابٍ}

***الابل

و لهذا قال:

{وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}

من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع، و لا يتعزز من دونه قوي.

و تعريف[الفيء] في اصطلاح الفقهاء:-

هو ما أخذ من مال الكفار بحق، من غير قتال،

كهذا المال الذي فروا و تركوه خوفا من المسلمين، و سمي فيئا،

لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له،

إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه.

و حكمه العام، كما ذكره الله في قوله

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ)

عموما، سواء أفاء الله في وقت رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته .

***جميع البلدان التي تُفتح هكذا فحكمها كحكم بني النضير

{فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}

و هذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال، في قوله:

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [الأنفال: 41]

–فهذا الفيء يقسم خمسة أقسام:

1–خمس لله ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة

2– وخمس لذوي القربى،

و هم: بنو هاشم و بنو المطلب،

حيث كانوا يسوى فيه بين، ذكورهم و إناثهم،

و إنما دخل بنو المطلب في خمس الخمس، مع بني هاشم،

و لم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب،

حين تعاقدت قريش على هجرهم و عداوتهم فنصروا رسول الله ﷺ

بخلاف غيرهم،

و لهذا قال النبي ﷺفي بني عبد المطلب:

« إنهم لم يفارقوني في جاهلية و لا إسلام »

3–و خمس لفقراء اليتامى، و هم: من لا أب له و لم يبلغ،

4–و خمس للمساكين،

5–و سهم لأبناء السبيل، و هم الغرباء المنقطع بهم في غير أوطانهم.

*** صحيح البخاري

2904 - عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الحَدَثَانِ، عَنْ عُمَرَ ﷺقَالَ:
كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ،
مِمَّا لَمْ يُوجِفِ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ، وَلاَ رِكَابٍ،
«فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺخَاصَّةً،وَ كَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ،
ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَ الكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»( )

صحيح البخاري

3094 - مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الحَدَثَانِ،
وَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، - ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ،
فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ،
فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الحَدِيثِ،
فَقَالَ مَالِكٌ - بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ،
إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَأْتِينِي،
فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ،

(أفاء) من الفيء وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير قتال.

(يوجف) من الإيجاف وهو الإسراع في السير.

(ركاب) الإبل التي يسار عليها.

(خاصة) اختص بها ولم يشاركه فيها أحد.

(الكراع) الخيل.

(عدة في سبيل الله) استعدادا للجهاد والعدة كل ما يعد لحوادث الدهر من سلاح وغيره

فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالِ سَرِيرٍ،
لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ فِرَاشٌ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ،
فَقَالَ: يَا مَالِك، إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ أَهْلُ أَبْيَاتٍ،
وَ قَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ، فَاقْبِضْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ،
فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَ بِهِ غَيْرِي،
قَالَ: اقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا،
فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَ الزُّبَيْرِ،
وَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَسْتَأْذِنُونَ؟
قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا، فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا،
ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَا يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ؟
قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلاَ، فَسَلَّمَا فَجَلَسَا،
فَقَالَ عَبَّاسٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنِي وَ بَيْنَ هَذَا،
وَ هُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺمِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ،
فَقَالَ الرَّهْطُ، عُثْمَانُ وَ أَصْحَابُهُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا،
وَ أَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ،
قَالَ عُمَرُ: تَيْدَكُمْ أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ،
هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
قَالَ: «لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺنَفْسَهُ؟
قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ: ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ،
فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ، أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَدْ قَالَ ذَلِكَ؟
قَالاَ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ،

قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ،
ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر: 6]- إِلَى قَوْلِهِ - {قَدِيرٌ}
[الحشر: 6]، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَ اللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَ لاَ اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ،
قَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَ بَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا المَالُ،
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ،
ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ،
فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ،
أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟
قَالُوا: نَعَمْ،
ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ، أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟
قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ،
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ،
فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَ اللَّهُ يَعْلَمُ: إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ،
ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيَّ أَبِي بَكْرٍ،
فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَ مَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ:
إِنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ،
ثُمَّ جِئْتُمَانِي تُكَلِّمَانِي، وَ كَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ، وَ أَمْرُكُمَا وَاحِدٌ،
جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ، تَسْأَلُنِي نَصِيبَكَ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ،

وَ جَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلِيًّا - يُرِيدُ نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا،
فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»،
فَلَمَّا بَدَا لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا،
قُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ:
لَتَعْمَلاَنِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَ بِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ،
وَ بِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلِيتُهَا،
فَقُلْتُمَا: ادْفَعْهَا إِلَيْنَا، فَبِذَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا،
فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟
قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ،
فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟
قَالاَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ،
فَوَاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ،
لاَ أَقْضِي فِيهَا قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ،
فَإِنِّي أَكْفِيكُمَاهَا( )

(ذكرا) شيئا منه.
(متع النهار) ارتفع وطال ارتفاعه وذلك قبل الزوال.
(رمال سرير) ما ينسج من ورق النخيل ليضطجع عليه.
(أدم) جلد.
(يا مال) مرخم يا مالك والترخيم حذف آخر الاسم تخفيفا.
(برضخ) عطية قليلة غير مقدرة.

*راجع سورة الانفال

و إنما قدر الله هذا التقدير، و حصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ

{كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ}

أي: مدوالة و اختصاصا

بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ

(هل لك في عثمان. .) هل لك إذن فيهم ورغبة في دخولهم.

(تيدكم) اسم فعل بمعنى اصبروا واتئدوا.

(أنشدكم) أسألكم.

(هذا الأمر) هذه المسألة وهي العمل في تركة رسول الله ﷺ.

(قرأ) أي عمر رضي الله عنه وتتمة الآية

{فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير} / الحشر 6 /.

(أفاء) من الفيء وهو ما يغنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال.

(أوجفتم) من الإيجاف وهو السير السريع.

(ركاب) الإبل التي يركب عليها أي فما حصلتموه بالقتال ولكن الله تعالى سلط رسوله عليهم وهزمهم.

(ما احتازها دونكم) ما جمعها واستأثر بها وحده بل كان لكم منها نصيب.

(استأثر) استبد وتخصص.

(بثها فيكم) فرقها عليكم.

(هذا المال) الذي هو نصيب رسول الله ﷺ.

(ولي) وصيه الذي يتولى أموره من بعده.

(بار) محسن صادق وفي من البر وهو الإحسان.

(فتلتمسان) تطلبان]

فإنه لو لم يقدره، لتداولته الأغنياء الأقوياء

***يتصرفون فيها بمحض الشهوات و الاهواء،

و لما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء،

و في ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله،

كما أن في اتباع أمر الله و شرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر،

و لذلك أمر الله بالقاعدة الكلية و الأصل العام،

فقال: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟}

***صحيح البخاري (4886

-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود

قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَ المُوتَشِمَاتِ، وَ المُتَنَمِّصَاتِ

وَ المُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»

فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ،

فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ،

فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ،

قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ،

أَمَا قَرَأْتِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]؟

قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ،

قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا،

فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا( )

صحيح البخاري
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،
فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،
وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»( )

(الواشمات) جمع واشمة اسم فاعلة من الوشم وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبدا.
(الموتشمات) جمع موتشمة وهي التي يفعل فيها الوشم.
(المتنمصات) جمع متنمصة وهي التي تطلب إزالة شعر وجهها ونتفه والتي تزيله وتنتفه تسمى نامصة.
(المتفلجات) جمع متفلجة وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها.
(للحسن) لأجل الجمال.
(المغيرات خلق الله) بما سبق ذكره لأنه تغيير وتزوير.
(كيت وكيت) كناية عن كلام قيل.
(ما بين اللوحين) أي القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف.
(آتاكم) أمركم به.
(فلم تر من حاجتها) لم تشاهد أم يعقوب من الذي ظنته في زوج ابن مسعود رضي الله عنهما شيئا.
(ما جامعتنا) ما صاحبتنا بل كنا نطلقها ونفارقها وفي نسخة
(ما جامعتها) والمعنى واحد]

(دعوني) اتركوني ولا تسألوني.
(بسؤالهم) كثرة أسئلتهم.

و هذا شامل لأصول الدين و فروعه، ظاهره و باطنه،

و أن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به و اتباعه،

و لا تحل مخالفته،

و أن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى،

لا رخصة لأحد و لا عذر له في تركه،

و لا يجوز تقديم قول أحد على قوله،

ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب و الأرواح و الدنيا و الآخرة ،

و بها السعادة الدائمة و الفوز العظيم،

و بإضاعتها الشقاء الأبدي و العذاب السرمدي، فقال:

{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ }

على من ترك التقوى، و آثر اتباع الهوى.

لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ

(ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه.
قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم هذا من قواعد الإسلام
ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

ثم ذكر تعالى الحكمة و السبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، :-

1-و أنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم،

2-و أنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات و المألوفات،

من الديار و الأوطان و الأحباب و الخلان و الأموال

رغبة في الله و نصرة لدين الله، و محبة لرسول الله،

فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم،

و صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة و العبادات الشاقة،

بخلاف من ادعى الإيمان

و هو لم يصدقه بالجهاد و الهجرة و غيرهما من العبادات،

و بين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله و رسوله طوعا و محبة و اختيارا،

و آووا رسول الله ﷺ، و منعوه من الأحمر و الأسود،

{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ}

فضل فقراء المهاجرين و الانصار 8-10

دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلا و مرجعا يرجع إليه المؤمنون،

و يلجأ إليه المهاجرون،

***سكنوا المدينة قبل المهاجرين و آمنوا قبل كثير منهم

❍و يسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب و شرك و شر،

فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام و قوي،

و جعل يزيد شيئا شيئا فشيئا، و ينمو قليلا قليلا

حتى فتحوا القلوب بالعلم و الإيمان و القرآن، و البلدان بالسيف و السنان.

الذين من جملة أوصافهم الجميلة

***صحيح البخاري

وَ قَالَ عمر أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ،

أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ،

وَ أُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا،

{الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَ أَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ

{ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ }

و هذا لمحبتهم لله و لرسوله، أحبوا أحبابه، و أحبوا من نصر دينه.

{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا}

أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله

و خصهم به من الفضائل و المناقب التي هم أهلها،

و هذا يدل على سلامة صدورهم، و انتفاء الغل و الحقد و الحسد عنها.
و يدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر،
و أخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا،
فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار و لا غيرهم،
و لأنهم جمعوا بين النصرة و الهجرة. و قوله:

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}

أي:و من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم،
و تميزوا بها على من سواهم:
الإيثار، و هو أكمل أنواع الجود،
و هو الإيثار بمحاب النفس من الأموال و غيرها،
و بذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة و الخصاصة،
و هذا لا يكون إلا من خلق زكي، و محبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها،
و من ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه،
حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله و أولاده و باتوا جياعا،
و الإيثار عكس الأثرة،
فالإيثار محمود، و الأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل و الشح،
و من رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه

*الصحيح المسند من أسباب النزول

***صحيح البخاري

3798 - حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،
فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ،
فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي،
فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَ أَصْبِحِي سِرَاجَكِ،
وَ نَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً
فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا،
ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ،
فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:9]()

(رجل) هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه.
(أصبحي) أوقدي ونوري.
(يريانه) من الإراءة أي يتظاهران بذلك.
(يؤثرون) يختارون ويفضلون.

{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ }

و وقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به،

فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله و رسوله،

ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره،

و سمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، و إن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه،

و تطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله و ابتغاء مرضاته،

و بذلك يحصل الفلاح والفوز،

بخلاف من لم يوق شح نفسه،

بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر و مادته،

فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام و الأئمة الأعلام،

الذين حازوا من السوابق و الفضائل و المناقب ما سبقوا به من بعدهم،

و أدركوا به من

(خصاصة) حاجة.

(يوق شح نفسه) يخالف هواها ويغلبها على ما أمرته بتوفيق الله وعونه من الوقاية وهي الحفظ والشح البخل والحرص.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا
بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠
۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ
أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ
إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ
لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن
وَرَآءِ جُدُرِۭ ۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ ۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا
يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥
كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا
بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠

***كقوله{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100]

فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون آثارهم الحسنة و اوصافهم الجميلة

الداعون لهم في السر و العلانية

و حسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، و يأتم بهداهم،

و لهذا ذكر الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم و سائر خلفهم فقال:

{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ }

أي: من بعد المهاجرين و الأنصار

(يَقُولُونَ)

على وجه النصح لأنفسهم و لسائر المؤمنين:

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ }

و هذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة

و من قبلهم و من بعدهم،

و هذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض،

و يدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي

لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض،

و أن يحب بعضهم بعضا.

{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا}

و لهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل و كثيره ، الذي إذا انتفى ثبت ضده،

و هو المحبة بين المؤمنين و الموالاة و النصح،

و نحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم:

{سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}

دليل على المشاركة في الإيمان ،

و أنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان و أصوله،

و هم أهل السنة و الجماعة،

الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم،

و وصفهم بالإقرار بالذنوب و الاستغفار منها، و استغفار بعضهم لبعض،

{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا}

و اجتهادهم في إزالة الغل و الحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين،

لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، و متضمن لمحبة بعضهم بعضا،

و أن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه،

و أن ينصح له حاضرا و غائبا، حيا و ميتا،

و دلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض،

{رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }

ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالين على كمال رحمة الله و شدة رأفته و إحسانه بهم، الذي من جملته،

بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله و حقوق عباده.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة،

و هم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

و هؤلاء أهله الذين هم أهله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾

موالاة المنافقين لليهود و خذلانهم 11-17

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ)

❍ثم تعجب تعالى من حال المنافقين

***كعبد الله بن أُبي الذين طمعوا إخوانهم

من أهل الكتاب، في نصرتهم، و موالاتهم على المؤمنين، و أنهم يقولون لهم:

{ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا }

أي: لا نطيع في عدم نصرتكم أحدا يعذلنا أو يخوفنا،

{وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ}

في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم.

و لا يستكثر هذا عليهم،

فإن الكذب وصفهم، و لغرور و الخداع مقارنهم، و النفاق و الجبن يصحبهم،

و لهذا كذبهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به،

و وقع طبق ما قال، فقال:

{ لَئِنْ أُخْرِجُوا }

من ديارهم جلاء و نفيا

{لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ}

لمحبتهم للأوطان، و عدم صبرهم على القتال، و عدم وفائهم بوعدهم .

{وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ}

بل يستولي عليهم الجبن، و يملكهم الفشل،

و يخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم.

{وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ}

على الفرض و التقدير

{ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ }

أي: ليحصل منهم الإدبار عن القتال و النصرة،

و لا يحصل لهم نصر من الله.

و السبب الذي أوجب لهم ذلك أنكم – أيها المؤمنون –

***و هذه بشارة مستقلة بنفسها

{لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ}

فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله،

و قدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه و لا لغيره نفعا و لا ضرا،

على مخافة الخالق، الذي بيده الضر و النفع، و العطاء و المنع.

***كقوله{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}

[النساء: 77]

لذا قال الله تعالي{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ }

مراتب الأمور، و لا يعرفون حقائق الأشياء، و لا يتصورون العواقب،

و إنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق و رجاؤه و محبته

مقدمة على غيرها، و غيرها تبعا لها.

لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

{لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا}

أي: في حال الاجتماع

***من جبنهم و هلعهم لا يقدرون علي مواجهة جيش الاسلام

{إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ}

أي: لا يثبتون لقتالكم و لا يعزمون عليه،

إلا إذا كانوا متحصنين في القرى،

أو من وراء الجدر والأسوار.

فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، اعتمادا على حصونهم و جدرهم،

لا شجاعة بأنفسهم، و هذا من أعظم الذم،

{بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ}

*الميسر:عداوتهم

أي: بأسهم فيما بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم و لا في قوتهم،

و إنما الآفة في ضعف إيمانهم و عدم اجتماع كلمتهم،

و لهذا قال:{تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا}

حين تراهم مجتمعين ومتظاهرين.

{و} لكن

{ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ }

أي: متباغضة متفرقة متشتتة.

{ذَٰلِكَ }

الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر

{ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ }

أي: لا عقل عندهم، و لا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول،

لآثروا الفاضل على المفضول،

و لما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين،

و لكانت كلمتهم مجتمعة، و قلوبهم مؤتلفة،

فبذلك يتناصرون و يتعاضدون،

و يتعاونون على مصالحهم و منافعهم الدينية و الدنيوية.

مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب،

الذين انتصر الله لرسوله منهم

و أذاقهم الخزي في الحياة الدنيا،

و عدم نصر من وعدهم بالمعاونة

{ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ }

و هم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال:

{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 48]

فغرتهم أنفسهم، و غرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم،

و لم يدفعوا عنهم العذاب،

حتى أتوا « بدرا » بفخرهم وخيلائهم،

ظانين أنهم مدركون برسول الله و المؤمنين أمانيهم.

فنصر الله رسوله و المؤمنين عليهم،

فقتلوا كبارهم و صناديدهم، و أسروا من أسروا منهم، و فر من فر،

و ذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم و بغيهم، هذا في الدنيا،

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

في الآخرة عذاب النار.

و مثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

{ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ }

أي: زين له الكفر و حسنه و دعاه إليه، فلما اغتر به و كفر،
و حصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه،
بل تبرأ منه و

{قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ }

أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك،
و لست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾
لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ
ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

{فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ }

أي: الداعي الذي هو الشيطان،

و المدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه

{ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ } كما قال تعالى:

[إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ]

الذين اشتركوا في الظلم و الكفر،

و إن اختلفوا في شدة العذاب و قوته،

و هذا دأب الشيطان مع كل أوليائه،

فإنه يدعوهم و يدليهم إلى ما يضرهم بغرور،

حتى إذا وقعوا في الشباك،

و حاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم و تخلى عنهم.

و اللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه و أنذر،

و أخبر بمقاصده و غايته و نهايته،

فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له.

(وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

*** صحيح مسلم -1017
عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ،
قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ،
عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ
فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ،
فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: 1]
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]
وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ} [الحشر: 18]
«تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ،
مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»
قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ،
قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ،
حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «
مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً،
فَلَهُ أَجْرُهَا، وَ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ،
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،
وَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً،
كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ،

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»( )

(مجتابي النمار) نصب على الحالية أي لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف

(العباء) بالمد وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية

(فتعمر) أي تغير

(كومين) هو بفتح الكاف وضمها قال القاضي ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم قال ابن سراج هو بالضم اسم لما كوم وبالفتح المرة الواحدة قال والكومة بالضم الصبرة والكوم العظيم من كل شيء والكوم المكان المرتفع كالرابية قال القاضي فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية

(يتهلل) أي يستنير فرحا وسرورا

(مذهبة) ضبطوه بوجهين أحدهما وهو المشهور وبه جزم القاضي والجمهور مذهبة والثاني ولم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره مدهنة وقال القاضي عياض في المشارق وغيره من الأئمة هذا تصحيف

وذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض]

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ}

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان و يقتضيه من لزوم تقواه،

سرا و علانية، في جميع الأحوال،

و أن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره و شرائعه و حدوده،

{وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ}

و ينظروا ما لهم و ما عليهم،

و ماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم

في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم و قبلة قلوبهم،

و اهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها،

و تصفيتها من القواطع و العوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم،

***حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا

{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ}

وإذا علموا أيضا،

(إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ)

لا تخفى عليه أعمالهم، و لا تضيع لديه و لا يهملها،

أوجب لهم الجد و الاجتهاد.

و هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه

و أنه ينبغي له أن يتفقدها،

فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، و التوبة النصوح،

و الإعراض عن الأسباب الموصلة إليه،

و إن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده

و استعان بربه في تكميله و تتميمه، و إتقانه،

و يقايس بين منن الله عليه و إحسانه و بين تقصيره،

فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ }

و الحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر،

و يشابه قوما نسوا الله

و غفلوا عن ذكره و القيام بحقه،

و أقبلوا على حظوظ أنفسهم و شهواتها،

فلم ينجحوا، و لم يحصلوا على طائل،

{فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ}

بل أنساهم الله مصالح أنفسهم،

و أغفلهم عن منافعها و فوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين،

و غبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، و لا يجبر كسره،

***فالجزاء من جنس العمل

{أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ }

لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم

و أوضعوا في معاصيه،

فهل يستوي من حافظ على تقوى الله و نظر لما قدم لغده،

فاستحق جنات النعيم، و العيش السليم –

مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين –

و من غفل عن ذكر الله، و نسي حقوقه، فشقي في الدنيا،

و استحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون،و الآخرون هم الخاسرون.

*** {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

{لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ }

***كقوله { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21]

{أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ }

هم الناجون المُسَلَّمُون من عذاب الله

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ)

و لما بين تعالى لعباده ما بين، و أمرهم ونهاهم في كتابه العزيز،

كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه و حثهم عليه،

و لو كانوا في القسوة و صلابة القلوب كالجبال الرواسي،

فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل

{لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ}

أي: لكمال تأثيره في القلوب،

فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق،

و أوامره و نواهيه محتوية على الحكم و المصالح المقرونة بها،

و هي من أسهل شيء على النفوس،

و أيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها و لا اختلاف،

و لا صعوبة فيها و لا اعتساف، تصلح لكل زمان و مكان، و تليق لكل أحد.

*** فَإِنْ كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ،

لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ،

لَخَشَعَ وَ تَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ،

فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَلَّا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَ تَخْشَعَ،

وَ تَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،

وَ قَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَ تَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ؟ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} .

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى

[الرَّعْدِ: 31]

{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الْبَقَرَةِ: 74] .

{وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال،

و يوضح لعباده في كتابه الحلال و الحرام

لأجل أن يتفكروا في آياته و يتدبروها،

فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم،

و يبين له طرق الخير و الشر،

و يحثه على مكارم الأخلاق، و محاسن الشيم،

و يزجره عن مساوئ الأخلاق،

فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن و التدبر لمعانيه.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ }

هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى و أوصافه العلى، عظيمة الشأن، و بديعة البرهان،

أسماء الله الحسنى 22-24

فأخبر أنه الله المألوه المعبود، {ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ}

و ذلك لكماله العظيم، و إحسانه الشامل، و تدبيره العام،

و كل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة،

لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه و لا لغيره شيئا،

ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل

{ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ}

لِما غاب عن الخلق و ما يشاهدونه،

{هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ }

و بعموم رحمته التي وسعت كل شيء و وصلت إلى كل حي.

***وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الْأَعْرَافِ: 156] ،

وَ قَالَ {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الْأَنْعَامِ: 54] ،

وَ قَالَ {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يُونُسَ: 58]

{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ }

ثم كرر ذكر عموم إلهيته و انفراده بها،

و أنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي و السفلي و أهله،

الجميع مماليك لله، فقراء مدبرون.

*** الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَ لَا مُدَافَعَةٍ.

(ٱلْقُدُّوسُ)

أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة و نقص، المعظم الممجد

لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص،و التعظيم لله في أوصافه و جلاله.

*** قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: أَيِ الطَّاهِرُ

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ،وَ قَتَادَةُ: أَيِ الْمُبَارَكُ:

وَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تُقَدِّسُهُ الْمَلَائِكَةُ الكرام.

{ٱلسَّلَٰمُ }

أَيْ: مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ؛ بِكَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَفْعَالِهِ.

(ٱلْمُؤْمِنُ)

أي: المصدق لرسله و أنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، و البراهين

القاطعات، و الحجج الواضحات.

*** قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

أَيْ أَمَّنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ.
وَ قَالَ قَتَادَةُ: أَمَّن بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ حَقٌّ.
وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: صَدّق عبادَه الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ بِهِ.

{ ٱلْمُهَيْمِنُ }
الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، بِمَعْنَى: هُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ،
كَقَوْلِهِ: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الْبُرُوجِ: 9] ،
وَقَوْلُهُ {ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ} [يُونُسَ: 46] .
وَقَوْلُهُ: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} الْآيَةَ [الرَّعْدِ: 33] .

(ٱلْعَزِيزُ)
الذي لا يغالب و لا يمانع، بل قد قهر كل شيء، و خضع له كل شيء،

(ٱلْجَبَّارُ)
الذي قهر جميع العباد،
و أذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، و يغني الفقير،
***الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.
المصلحُ أمورَ خَلْقِهِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ

(ٱلْمُتَكَبِّرُ)
الذي له الكبرياء و العظمة، المتنزه عن جميع العيوب و الظلم و الجور.
*** الْمُتَكَبِّرُ: يَعْنِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ.
*** صحيح مسلم

(2620) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»

(سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

و هذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده.

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ)

لجميع المخلوقات

(ٱلْبَارِئُ)

للمبروءات

(ٱلْمُصَوِّرُ)

للمصورات،

و هذه الأسماء متعلقة بالخلق و التدبير و التقدير،

و أن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك.

***أَيِ: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُ، وَ الصُّورَةِ الَّتِي يَخْتَارُ.

كَقَوْلِهِ: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الِانْفِطَارِ: 8]

وَ لِهَذَا قَالَ: {ٱلْمُصَوِّرُ } أَيِ:
الَّذِي يُنَفِّذُ مَا يُرِيدُ إِيجَادَهُ عَلَى الصِّفَةِ التي يريدها.

***الْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ

و البَرْءُ: هُوَ الْفَرْيُ، وَ هُوَ التَّنْفِيذُ وَ إِبْرَازُ مَا قَدَّرَهُ وَ قَرَّرَهُ إِلَى الْوُجُودِ، وَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَ رَتَّبَهُ يَقْدِرُ عَلَى تَنْفِيذِهِ وَ إِيجَادِهِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ آخَرَ :-

وَ لَأَنْتَ تَفري مَا خَلَقت و بعضُ الْقَوْمِ يَخلُق ثُمَّ لَا يَفْري

أَيْ: أَنْتَ تُنَفِّذُ مَا خَلَقْتَ، أَيْ: قَدَّرْتَ، بِخِلَافِ غَيْرِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مَا يُرِيدُ.

فَالْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ.

وَ الْفَرْيُ: التَّنْفِيذُ.

وَ مِنْهُ يُقَالُ: قَدَّرَ الْجَلَّادُ ثُمَّ فَرَى، أَيْ: قَطَعَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ بِحَسَبِ مَا يُرِيدُهُ.

(لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ)

أي: له الأسماء الكثيرة جدا،

التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو،

و مع ذلك، فكلها حسنى أي:

صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات و أعظمها،

لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه،

و من حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها،

و يحب من عباده أن يدعوه و يسألوه بها.

و من كماله، و أن له الأسماء الحسنى، و الصفات العليا،

أن جميع من في السماوات و الأرض مفتقرون إليه على الدوام،

يسبحون بحمده، و يسألونه حوائجهم،

فيعطيهم من فضله و كرمه ما تقتضيه رحمته و حكمته،

***صحيح مسلم

(2677) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ

وَ إِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا»( )

{يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}

***كقوله {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}

(وإن الله وتر يحب الوتر)

الوتر الفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير

ومعنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات

فجعل الصلاة خمسا والطهارة ثلاثا ثلاثا والطواف سبعا والسعي سبعا ورمي الجمار سبعا وأيام التشريق ثلاثا والاستنجاء ثلاثا وكذا الأكفان

وفي الزكاة خمسة أوسق وخمس أواق من الورق ونصاب الإبل وغير ذلك

وجعل كثيرا من عظيم مخلوقاته وترا منها السموات والأرضون والبحار وأيام الأسبوع وغير ذلك

(من أحصاها) معناه حفظها وهذا هو الأظهر لأنه جاء مفسرا في الرواية الأخرى من حفظها وقيل أحصاها عدها في الدعاء بها وقيل أطاقها أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها والصحيح الأول]

[الإسراء: 44]

{وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ}

فلا يرام جنابه

{ٱلۡحَكِيمُ }

في شرعه و قدره

الذي لا يريد شيئا إلا و يكون، و لا يكون شيئا إلا لحكمة و مصلحة.

تفسير سورة الممتحنة–و هي مدنية

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا
جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي
وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ
فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا
بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا
حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا
عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥

***جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول**

المستدرك على الصحيحين للحاكم

3802 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}

إِلَى قَوْلِهِ {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

نَزَلَ فِي مُكَاتَبَةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ و مَنْ مَعَهُ إِلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ يُحَذِّرُونَهُمْ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ} [الممتحنة:4]

نُهُوا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَيَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الممتحنة:5]

لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَ لَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ

*** صحيح البخاري

3007 -عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ،

قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً،

وَ مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»

فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ،

فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ،

فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ،

فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ،

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا،

فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ

فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

«يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا،
وَ كَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ
وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ،
أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي،
وَ مَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَ لاَ ارْتِدَادًا، وَ لاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»،
قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ،
قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،
وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ
فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "،

في 4274 – صحيح البخاري

. فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ} [الممتحنة: 1]-

إِلَى قَوْلِهِ - {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [البقرة: 108]( )

ذكر كثير من المفسرين، رحمهم الله ،

(روضة خاخ) موضع بين مكة والمدينة.
(ظعينة) المرأة في الهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود.
(تعادى بنا) تباعد وتجاري.
(عقاصها) هو الشعر المضفور.
(ملصقا) مضافا إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم.
(يدا) نعمة ومنة عليهم.
(اطلع) نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم.

أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة،

حين غزا النبي ﷺغزوة الفتح

فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله إليهم،

ليتخذ بذلك يدا عندهم لا شكا و نفاقا، وأرسله مع امرأة،

فأُخبر النبي بشأنه،

فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

و عاتب حاطبا، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي،

و هذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين و غيرهم،

و إلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان،

و مخالف لملة إبراهيم الخليل عليه السلام

و مناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو،

الذي لا يبقي من مجهوده في العداوة شيئا،

و ينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه، فقال تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ)

***كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

[المائدة: 51]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

[المائدة: 57]

{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}

[آل عمران: 28]

اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان،

و معاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين.

النهى عن موالاة الكفار و حقيقتهم 1-3

{عَدُوِّي }

فلا تتخذوا عدو الله

(وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ)

أي: تسارعون في مودتهم و في السعي بأسبابها،

فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصرة و الموالاة، فخرج العبد من الإيمان،

و صار من جملة أهل الكفران، و انفصل عن أهل الإيمان.

و هذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا،

فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، و يخالف ربه و وليه الذي يريد به الخير، و يأمره به، و يحثه عليه؟!

{وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ }

و مما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، و لا أعظم من هذه المخالفة و المشاقة،

فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، و زعموا أنكم ضُلال على غير هدى.

و الحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه و لا مرية،

و من رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله،

بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده و فساده.

و من عداوتهم البليغة أنهم

(يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ)

أيها المؤمنون من دياركم، و يشردونكم من أوطانكم،

و لا ذنب لكم في ذلك عندهم،

***هذا مع ما قبله من التهييج علي عداوتهم و عدم موالاتهم هَذَا مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ التَّهْيِيجِ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَ عَدَمِ مُوَالَاتِهِمْ؛
لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَ أَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ،
كَرَاهَةً لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}
أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانَكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
كَقَوْلِهِ: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [الْبُرُوجِ: 8] ،
وَ كَقَوْلِهِ {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الْحَجِّ: 40] .

{ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ }

إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته،

لأنه رباهم، و أنعم عليهم، بالنعم الظاهرة و الباطنة، و هو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات،

و قمتم به، عادوكم، و أخرجوكم – من أجله – من دياركم،

فأي دين، و أي مروءة و عقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟!!

و لا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانع قوي.

(إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي)

أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله،

و ابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا،

من موالاة أولياء الله و معاداة أعدائه،

فإن هذا هو الجهاد في سبيله و هو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم و يبتغون به رضاه.

(تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ)

أي: كيف تسرون المودة للكافرين و تخفونها،

مع علمكم أن الله عالم بما تخفون و ما تعلنون؟!

فهو وإن خفي على المؤمنين،

فلا يخفى على الله تعالى، و سيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير و الشر،

(وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ)

أي: موالاة الكافرين بعد ما حذركم الله منها

(فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)

لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع و للعقل و المروءة الإنسانية.

ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهييجا للمؤمنين على عداوتهم،

(إِن يَثْقَفُوكُمْ)

أي: يجدوكم، و تسنح لهم الفرصة في أذاكم،

(يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً)

ظاهرين

(وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ)

بالقتل و الضرب، ونحو ذلك.

(وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ)

أي: بالقول الذي يسوء، من شتم و غيره،

(وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ)

فإن هذا غاية ما يريدون منكم.

{لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ }

***أَيْ: قَرَابَاتُكُمْ لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا،
وَ نَفْعُهُمْ لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يُسْخِطُ اللَّهَ،
وَ مَنْ وَافَقَ أَهْلَهُ عَلَى الْكُفْرِ لِيُرْضِيَهُمْ فَقَدْ خَابَ وخَسِر و ضَلّ عَمَلُهُ،
وَ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ قَرَابَتُهُ مِنْ أَحَدٍ، وَ لَوْ كَانَ قَرِيبًا إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.
صحيح مسلم -203
عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟
قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»( )
–فإن احتججتم و قلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة و الأموال،
فلن تغني عنكم أموالكم و لا أولادكم من الله شيئا.

{يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ}

*يفرق

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

فلذلك حذركم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم،

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۚ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

(فلما قفى) قال في النهاية أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره]

قد كان لكم يا معشر المؤمنين

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

أي: قدوة صالحة و ائتمام ينفعكم،

(فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)

من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا،

(مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)

أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام و من معه من المؤمنين،

من قومهم المشركين و مما يعبدون من دون الله.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا:

(كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا)

أي: ظهر و بان (من البُدُو و ليس بدأ من الابتداء)

(بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ)

أي: البغض بالقلوب، و زوال مودتها، و العداوة بالأبدان،

و ليس لتلك العداوة و البغضاء وقت و لا حد، بل ذلك

(أَبَدًا)

ما دمتم مستمرين على كفركم

(حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)

أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة و البغضاء،
و انقلبت مودة و ولاية،
فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم و من معه في القيام بالإيمان والتوحيد، و القيام بلوازم ذلك و مقتضياته،
و في كل شيء تعبدوا به لله وحده،

(إِلَّا)

في خصلة واحدة وهي

(قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ)

آزر المشرك، الكافر المعاند،
حين دعاه إلى الإيمان و التوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم :

(لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ و)

الحال أني لا

(وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ)

لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا،
فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك،
فليس لكم أن تدعوا للمشركين،

و تقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ13 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: 113، 114]

و لكم أسوة حسنة في إبراهيم و من معه،

حين دعوا الله و توكلوا عليه و أنابوا إليه، و اعترفوا بالعجز و التقصير، فقالوا:

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا)

أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا و دفع ما يضرنا،

و وثقنا بك يا ربنا في ذلك.

(وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا)

أي: رجعنا إلى طاعتك و مرضاتك و جميع ما يقرب إليك،

فنحن في ذلك ساعون، و بفعل الخيرات مجتهدون،

{ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }

و نعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك،

و نعمل ما يقربنا الزلفى إليك .

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا و يمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان، و يفتنون أيضا بأنفسهم،

فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق و أنا على الباطل، فازدادوا كفرا و طغيانا،

(وَٱغۡفِرۡ لَنَا)

ما اقترفنا من الذنوب و السيئات، و ما قصرنا به من المأمورات،

(رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ)

القاهر لكل شيء،

(ٱلۡحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك و حكمتك انصرنا على أعدائنا، و اغفر لنا ذنوبنا، و أصلح عيوبنا.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ
﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ
وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟
ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

و ليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، و إنما تسهل على من

(لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ)

فإن الإيمان و احتساب الأجر و الثواب،

يسهل على العبد كل عسير، و يقلل لديه كل كثير،

و يوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، و الأنبياء و المرسلين،
فإنه يرى نفسه مفتقرا و مضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار.

(وَمَن يَتَوَلَّ)

عن طاعة الله و التأسي برسل الله، فلن يضر إلا نفسه، و لا يضر الله شيئا،

(فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ)

الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه،

فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه ،

***الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَ هُوَ اللَّهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ،
لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ، وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

(ٱلْحَمِيدُ)

في ذاته وأسمائه و صفاته و أفعاله، فإنه محمود على ذلك كله.

***الْمُسْتَحْمَدُ إِلَى خَلْقِهِ، أَيْ:
هُوَ الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ،
لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ لَا رَبَّ سواه.

❍ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر الله بها المؤمنين للمشركين،

و وصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم و كفرهم

و أنهم إن انتقلوا إلى الإيمان،

فإن الحكم يدور مع علته، فإن المودة الإيمانية ترجع،

فلا تيأسوا أيها المؤمنون، من رجوعهم إلى الإيمان،

*** كقوله{ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم: 8]

ف (عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ)

سببها رجوعهم إلى الإيمان،

(وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ)

على كل شيء، و من ذلك هداية القلوب و تقليبها من حال إلى حال،

(وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره،

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: 53]

و في هذه الآية إشارة و بشارة إلى إسلام بعض المشركين،

الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين،

و قد وقع ذلك، و لله الحمد و المنة.

***كما امتن الله علي الانصار فقال

{ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ} [آل عمران: 103]

و كقول النبي في صحيح البخاري-4330

يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي

وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَ عَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي

و لما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين،

وقعت من المؤمنين كل موقع، و قاموا بها أتم القيام،

و تأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين،

و ظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه.

أحكام علاقة المسلمين بالكفار 8-9

فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال:

(لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ)

أي: لا ينهاكم الله عن البر و الصلة، و المكافأة بالمعروف،

و القسط للمشركين، من أقاربكم و غيرهم،

حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين و الإخراج من دياركم،

فليس عليكم جناح أن تصلوهم،

{أَن تَبَرُّوهُمْ}

***تحسنوا اليهم

{وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ}

***تعدلوا

*** صحيح البخاري

5978 - عن أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،

فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: آصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ:

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: {لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}( )

{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ}

***مسند أحمد ط الرسالة -6492

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ

" الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ،

عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَ أَهْلِيهِمْ وَ مَا وَلُوا "

فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها و لا مفسدة

كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما:

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15]

و قوله: (إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ)

أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله و لمن قام به،

(وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا)

أي: عاونوا غيرهم

(لا ينهاكم الله. .) لم يمنعكم من الإكرام وحسن الصلة لغير المسلمين طالما أنهم لم يناصبوكم العداء ولم يسعوا في إيذائكم ولم يقاتلوكم بسبب دينكم لا سيما إن كانوا أقرباء وذوي رحم.

(عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ)

نهاكم الله

(أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ)

بالمودة و النصرة، بالقول و الفعل،

و أما بركم و إحسانكم، الذي ليس بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه،

بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب و غيرهم من الآدميين،

و غيرهم.

(وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

و ذلك الظلم يكون بحسب التولي، ..

فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام،

و لا تحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، و ما هو دون ذلك.

***كقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

[المائدة: 51]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ

ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

***تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ "الْفَتْحِ" ذِكْرُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ بَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَكَانَ فِيهِ:
"عَلَى أَلَّا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ -وَ إِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ-إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا".
وَ فِي رِوَايَةٍ: "عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ -
وَ إِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ-إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا".
وَ هَذَا قَوْلُ عُرْوَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَمُقَاتِلٍ، وَالسُّدِّيِّ. فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مُخَصَّصَةً لِلسُّنَّةِ،
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ، وَعَلَى طَرِيقَةِ بَعْضِ السَّلَفِ نَاسِخَةٌ،
فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ
{ إِذَا جَاءَهُمُ النِّسَاءُ مُهَاجِرَاتٍ أَنْ يَمْتَحِنُوهُنَّ* فَإِنْ عَلِمُوهن مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ* لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ)

أحكام النساء المهاجرات و مبايعتهن 10-12

***{فَامْتَحِنُوهُنّ}
فَاسْأَلُوهُنَّ: عَمَّا جَاءَ بِهِنَّ؟
فَإِنْ كَانَ بِهِنَّ غضبٌ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ سَخْطة أَوْ غَيْرُهُ،
وَ لَمْ يُؤْمِنَّ فَارْجِعُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ.
وَ قَالَ عِكْرِمَةُ: يُقَالُ لَهَا: مَا جَاءَ بِكِ إِلَّا حَبُّ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ؟
وَ مَا جَاءَ بِكِ عِشْقُ رجل منا، و لا فِرَارٌ مِنْ زَوْجِكِ؟
فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {فَامْتَحِنُوهُنّ}

وَ قَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ مِحْنَتُهُنَّ أَنْ يُسْتَحْلَفْنَ بِاللَّهِ: مَا أَخْرَجَكُنَّ النُّشُوزُ؟ وَ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حَبُّ الْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ وحِرص عَلَيْهِ؟ فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ قُبِل ذَلِكَ مِنْهُنَّ.

لما كان صلح الحديبية، صالح النبي ﷺالمشركين،

على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلما، أنه يرد إلى المشركين،

و كان هذا لفظا عاما، مطلقا يدخل في عمومه النساء و الرجال،

فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفاء بالشرط

و تتميما للصلح الذي هو من أكبر المصالح،

و أما النساء فلما كان ردهن فيه مفاسد كثيرة،

أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات،

و شكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن و يختبروهن،

بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها،

فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية.

فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة،

(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ)

و إن امتحنوهن فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان،

فلا يرجعوهن إلى الكفار،

*** فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُمْكِنُ الِاطِّلَاعُ عَلَيْهِ يَقِينًا

(لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)

*** هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي حَرّمَت الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ،
وَ قَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ؛
وَ لِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺزَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
وَ قَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ
بَعَثَتِ امْرَأَتُهُ زَيْنَبُ فِي فِدَائِهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِأُمِّهَا خَدِيجَةَ،
فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺرَقّ لَهَا رقَّةً شَدِيدَةً،
وَ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا". فَفَعَلُوا،
فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى أَنْ يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ،
فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَ عَدَهُ،
وَ بَعَثَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺمَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَقْعَةِ بَدْرٍ،
وَ كَانَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا الْعَاصُ بْنُ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ،
وَ لَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺرَدَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي العاص ابن الرَّبِيعِ
وَ كَانَتْ هِجْرَتُهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِستِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ،
وَ لَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَ لَا صَدَاقًا( )
فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، و راعى أيضا الوفاء بالشرط

المسند (261/1) أبي داود برقم (2240) الترمذي برقم (1143) وسنن ابن ماجة برقم (2009)

(وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)

بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر و توابعه عوضا عنهن،

و لا جناح حينئذ على المسلمين أن ينكحوهن

و لو كان لهن أزواج في دار الشرك،

و لكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر و النفقة،

و كما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب،

و لهذا قال تعالى: (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ)

و إذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى،

*** صحيح البخاري -2731

في الحديث ان رسول الله لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية

ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}

[الممتحنة: 10]

حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ،

كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ

فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ،

وَ الْأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ،

(وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ)

أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار،
فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم،
استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم إلى الكفار،
و في هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم،
فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر،

* (وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ)

و اطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم:الميسر

(وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟)

***و ليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم:الميسر**

و قوله: (ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ)

أي: ذلكم الحكم الذي ذكره الله و بينه لكم يحكم به بينكم

*** فِي الصُّلْحِ وَ اسْتِثْنَاءِ النِّسَاءِ مِنْهُ،
وَ الْأَمْرُ بِهَذَا كُلِّهِ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ

(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، و يشرع لكم ما تقتضيه الحكمة .

و قوله: (وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ)

بأن ذهبن مرتدات

(فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا)

كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار و فاتت عليه،

(فَعَاقَبْتُمْ)

* فغزوتم وغنمتم :الميسر

لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق .

* وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار،
و لم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن،
ثم ظَفِرتم بهؤلاء الكفار أو غيرهم و انتصرتم عليهم،
فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها
مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك :الميسر

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)

فإيمانكم بالله يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام.

*** ثُمَّ قَالَ: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: هَذَا فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ،
إِذَا فَرَّتْ إِلَيْهِمُ امْرَأَةٌ وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى زَوْجِهَا شَيْئًا،
فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمُ امْرَأَةٌ لَا يُدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءٌ،
حَتَّى يَدْفَعَ إِلَى زَوْجِ الذَّاهِبَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلَ نَفَقَتِهِ عَلَيْهَا.

وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَقَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ،
فَأَدَّوْا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى نِسَائِهِمْ
وَ أَبَى الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقِرُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَدَاءِ نَفَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ:
{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}
فَلَوْ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ امرأةٌ مِنْ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، رَدّ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى زَوْجِهَا النَّفَقَةَ الَّتِي أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ العَقب الَّذِي بِأَيْدِيهِمُ، الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَرُدُّوهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ نَفَقَاتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي آمَنَّ وهاجرنَ،
ثُمَّ رَدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَضْلًا إِنْ كَانَ بَقِيَ لَهُمْ.
وَ الْعَقِبُ:
مَا كَانَ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ حِينَ آمَنَّ وَهَاجَرْنَ .
وَ قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:
يَعْنِي إِنْ لَحِقَتِ امْرَأَةُ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْكُفَّارِ
أَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺأنه يُعْطَى مِنَ الْغَنِيمَةِ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ.
وَ هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ:
{فَعَاقَبْتُم}
أَصَبْتُمْ غَنِيمَةً مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهِمْ
{فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}
يَعْنِي: مَهْرَ مِثْلِهَا. وَهَكَذَا قَالَ مَسْرُوقٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ، وَالزُّهْرِيُّ أَيْضًا.

وَهَذَا لَا يُنَافِي الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَمْكَنَ الْأَوَّلُ فَهُوَ أَوْلَى،
وَ إِلَّا فَمِنَ الْغَنَائِمِ اللَّاتِي تُؤْخَذُ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ.
وَ هَذَا أَوْسَعُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَلِلَّهِ الحمد والمنة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ
وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى
مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟
قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

61-سورة الصف-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ
فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن }

*** صحيح البخارى

2713 - قَالَ عُرْوَةُ:

فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ بِهَذِهِ الآيَةِ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}

[الممتحنة: 10]

إِلَى {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 173]،

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْهُنَّ،

قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ بَايَعْتُكِ»
كَلامًا يُكَلِّمُهَا بِهِ،
وَ اللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، وَ مَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ
سنن الترمذي ت شاكر
1597 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ،
تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي نِسْوَةٍ،
فَقَالَ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَ أَطَقْتُنَّ»
قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا،
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْنَا، -
قَالَ سُفْيَانُ: تَعْنِي صَافِحْنَا، - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»
صحيح البخاري -4892
عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ
فَقَرَأَ عَلَيْنَا: {أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة: 12]،
«وَ نَهَانَا عَنِ النِّيَاحَةِ»،
فَقَبَضَتِ امْرَأَةٌ يَدَهَا،
فَقَالَتْ: أَسْعَدَتْنِي فُلاَنَةُ، أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا،
فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ شَيْئًا، فَانْطَلَقَتْ وَ رَجَعَتْ، فَبَايَعَهَا( )
صحيح البخاري
4895 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:-

(أسعدتني) قامت معي في نياحة لي]

شَهِدْتُ الصَّلاَةَ يَوْمَ الفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَ أَبِي بَكْرٍ، وَ عُمَرَ، وَ عُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ،
فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ،
ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ، حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلاَلٍ،
فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} [الممتحنة: 12]
حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا،
ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ: «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟»
فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ - لاَ يَدْرِي الحَسَنُ مَنْ هِيَ - قَالَ: «فَتَصَدَّقْنَ»
وَ بَسَطَ بِلاَلٌ ثَوْبَهُ، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الفَتَخَ وَ الخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ

مسند أحمد مخرجا

6850 - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:
جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ،
فَقَالَ: «أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا،
وَ لَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي، وَ لَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ،
وَ لَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَ رِجْلَيْكِ،
وَ لَا تَنُوحِي، وَ لَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»

صحيح البخاري

18 - عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ:
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ، وَ حَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:

«بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا،
وَ لاَتَسْرِقُوا، وَ لاَ تَزْنُوا، وَ لاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ
وَ لاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ، وَ لاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ،
فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ،
وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،
وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ،
إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»
فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ( )
هذه الشروط المذكورة في هذه الآية

(شهد بدرا) حضر غزوة بدر.
(النقباء) جمع نقيب وهو عريف القوم وناظرهم والمراد الذين اختارهم الأوس والخزرج نقباء عليهم بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وأقرهم على ذلك
(ليلة العقبة) الليلة التي بايع فيها صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا من الأوس والخزرج على النصرة وهي بيعة العقبة الثانية وكان ذلك عند جمرة العقبة بمنى والعقبة من الشيء الموضع المرتفع منه. (عصابة) الجماعة من الناس وهم ما بين العشرة إلى الأربعين.
(بايعوني) عاهدوني.
(بهتان) كذب فظيع يدهش سامعه.
(تفترونه) تختلقونه.
(بين أيديكم وأرجلكم) من عند أنفسكم.
(ولا تعصوا في معروف) لا تخالفوا في أمر لم ينه عنه الشرع.
(وفى) ثبت على العهد.
(أصاب من ذلم شيئا) وقع في مخالفة مما ذكر.
(فعوقب) نفذت عليه عقوبته من حد أو غيره.
(ستره الله) لم يصل أمره إلى القضاء]

تسمى « مبايعة النساء » اللاتي كن يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة، التي تجب على الذكور و النساء في جميع الأوقات.

و أما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم و مراتبهم و ما يتعين عليهم

فكان النبي ﷺيمتثل ما أمره الله به،

فكان إذا جاءته النساء يبايعنه، و التزمن بهذه الشروط بايعهن، و جبر قلوبهن، و استغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير

و أدخلهن في جملة المؤمنين بأن

(لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا)

بأن يفردن الله وحده بالعبادة.

{وَلَا يَسْرِقْنَ}

*** أَيْ: أَمْوَالَ النَّاسِ الْأَجَانِبِ،

فَأَمَّا إِذَا كَانَ الزَّوْجُ مُقَصِّرًا فِي نَفَقَتِهَا،

فَلَهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ، مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أَمْثَالِهَا،

وَ إِنْ كَانَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، عَمَلًا بِحَدِيثِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ

صحيح البخاري

2211 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ»( )

(شحيح) بخيل مع الحرص.

(وَلَا يَزْنِينَ)

كما كان ذلك موجودا كثيرا في البغايا و ذوات الأخدان،

***كقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32]

-صحيح البخاري -7047

سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ:

«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا».....

قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَ نِسَاءٌ عُرَاةٌ،

وَ إِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ،

فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» قَالَ:

قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ "

قَالَ: " قَا لَالِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.....

وَ أَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ،فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَ الزَّوَانِي،

(وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ)

كما يجري لنساء الجاهلية الجهلاء.

***خوفا من الاملاق(الفقر)

***و يعم قتله و هو جنين

(وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ)

(جناح) إثم. (سرا) أي دون علمه وإذنه.

(بالمعروف) حسب عادة الناس في نفقة أمثالك وأمثال أولادك]

و البهتان: الافتراء على الغير

أي: لا يفترين بكل حالة،سواء تعلقت بهن و أزواجهن أو سواء تعلق ذلك بغيرهم،

*يلحقن بأزواجهن أولادا :الزبدة

(وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ)

أي: لا يعصينك في كل أمر تأمرهن به،

لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف،

و من ذلك طاعتهن لك في النهي عن النياحة،

و شق الثياب،

و خمش الوجوه،

و الدعاء بدعاء الجاهلية.

(فَبَايِعْهُنَّ)

إذا التزمن بجميع ما ذكر.

(وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ)

عن تقصيرهن، و تطييبا لخواطرهن،

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)

أي: كثير المغفرة للعاصين، و الإحسان إلى المذنبين التائبين،

(رَّحِيمٌ)

وسعت رحمته كل شيء، و عم إحسانه البرايا.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم

و متبعين لرضاه و مجانبين لسخطه،

تأكيد النهى عن موالاة الكفار

(لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ)

*لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم لكفرهم أصدقاء وأخلاء:الميسر

○و إنما غضب عليهم لكفرهم، و هذا شامل لجميع أصناف الكفار.

(قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ)

أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب،

فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم و كفرهم

فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

و قوله: (كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ)

-حين أفضوا إلى الدار الآخرة،

و وقفوا على حقيقة الأمر و علموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها.

-و يحتمل أن المعنى: قد يئسوا من الآخرة

أي: قد أنكروها و كفروا بها،

فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله و موجبات عذابه و إياسهم من الآخرة،

كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى.

*** يَعْنِي مَنْ مَاتَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَدْ يَئِسَ الْأَحْيَاءُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ أَوْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}

قَالَ: الْكُفَّارُ الْأَحْيَاءُ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْقُبُورِ الَّذِينَ مَاتُوا.

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي: مَعْنَاهُ: كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ فِي الْقُبُورِ مَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: {كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}

قَالَ: كَمَا يَئِسَ هَذَا الْكَافِرُ إِذَا مَاتَ وَعَايَنَ ثَوَابَهُ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ.

تفسير سورة الصف–و هي مدنية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾

***السنن الكبرى للبيهقي

18499 -عن عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالُوا: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺرَسُولًا يَسْأَلُهُ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ. قَالَ:

فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا وَ هِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ،
قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺأُولَئِكَ النَّفْرَ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ ،
وَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ: سَبَّحَ لِلَّهِ
قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺكُلَّهَا

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ}

و هذا بيان لعظمته تعالى و قهره، و ذل جميع الخلق له تبارك وتعالى،

و أن جميع من في السماوات و الأرض يسبحون بحمد الله و يعبدونه و يسألونه حوائجهم،

تسبيح الله و الجهاد دفاعا عن الدين1-4

(وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذي قهر الأشياء بعزته و سلطانه،

(ٱلۡحَكِيمُ)

في خلقه وأمره.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ)

***صحيح البخاري -33

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
" آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ "

صحيح البخاري -34

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا،

وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "

أي: لم تقولون الخير و تحثون عليه،

و ربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، و تنهون عن الشر

و ربما نزهتم أنفسكم عنه، و أنتم متلوثون به و متصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟

{كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}

* بغضًا:الميسر

أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟

و لهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة،

و للناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه،

قال تعالى

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44]

وقال شعيب عليه السلام لقومه:

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ } [هود: 88]

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)

هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله

و تعليم لهم كيف يصنعون

و أنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا،

من غير خلل يقع في الصفوف،

و تكون صفوفهم على نظام و ترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين

و التعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا،

و لهذا كان النبي ﷺإذا حضر القتال، صف أصحابه، و رتبهم في مواقفهم،

بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض،

بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها و قائمة بوظيفتها،

و بهذه الطريقة تتم الأعمال و يحصل الكمال.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

قصة موسى و عيسى 5-9

***صحيح البخاري

، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيّ ﷺقِسْمَةَ حُنَيْنٍ،

قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ:

«رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } [الأحزاب: 69]

أي:(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ)

موبخا لهم على صنيعهم، ومقرعا لهم على أذيته، و هم يعلمون أنه رسول الله:

(لِمَ تُؤْذُونَنِي)

بالأقوال و الأفعال

(وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) .

–و الرسول من حقه الإكرام و الإعظام، و الانقياد بأوامره، و الابتدار لحكمه.

–و أما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان بعد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة و الجراءة و الزيغ عن الصراط المستقيم،

الذي قد علموه و تركوه،

و لهذا قال:

(فَلَمَّا زَاغُوا)

أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم

(أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)

عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم و رضوه لها،

و لم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يليق بهم الخير، و لا يصلحون إلا للشر،

***ازاغ الله قلوبهم عن الهدي و اسكنها الشك و الحيرة و الخذلان

{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام: 110]

(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)

أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى،

و هذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه،

و لا حجة لهم عليه، و إنما ذلك بسبب منهم،

فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه،

فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال و الزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه و تقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم

كما قال تعالى: { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام: 110]

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا
بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ
بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ
فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾
يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ

لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى مخبرا عن عناد بني إسرائيل المتقدمين،

الذين دعاهم عيسى ابن مريم،

و قال لهم: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ)

أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير و أنهاكم عن الشر،

و أيدني بالبراهين الظاهرة ، و مما يدل على صدقي، كوني،

(إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ)

أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة و الشرائع السماوية،

و لو كنت مدعيا للنبوة، لجئت بغير ما جاءت به المرسلون،

و مصدقا لما بين يدي من التوارة أيضا،

أنها أخبرت بي و بشرت، فجئت و بعثت مصداقا لها

(ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ)

و هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الهاشمي.

فعيسى عليه السلام، كالأنبياء يصدق بالنبي السابق،

و يبشر بالنبي اللاحق، بخلاف الكذابين،

فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة،

و يخالفونهم في الأوصاف و الأخلاق، و الأمر و النهي

*** صحيح البخاري

4896 - عن مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
«إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ،
وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الكُفْرَ،
وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ»

-لهذا قال الله { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}
[الأعراف: 157]

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}
[آل عمران: 80، 81]

المعجم الكبير للطبراني
7729 - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَ بُدُوُّ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ:
«دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَ بُشْرَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،
وَ رَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»

(فَلَمَّا جَاءَهُم)

محمد ﷺالذي بشر به عيسى

(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقا .

(قَالُوا۟) معاندين للحق مكذبين له

(هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)

و هذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته،

و صارت أبين من شمس النهار، يجعل ساحرا بينا سحره،

فهل في الخذلان أعظم من هذا؟

و هل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء،

الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته، و أثبت له ما كان أبعد الناس منه؟

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ)

***لا احد اظلم *

و جعل له شركاء في عبادته.

–بهذا و غيره، و الحال أنه لا عذر له، و قد انقطعت حجته،

لأنه

(وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ)

و يُبين له ببراهينه وبيناته،

* وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام و إخلاص العبادة لله وحده

(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

*** والله لا يوفّق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم**

الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين،

لا تردهم عنه موعظة، و لا يزجرهم بيان و لا برهان،

خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، و لينصروا الباطل،

و لهذا قال الله عنهم:

(يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ)

*** { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: 33]

أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق،

و هي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل،

(وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله،

و إشاعة نوره على سائر الأقطار، و لو كره الكافرون،

و بذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.

و صاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها،

فلا على مرادهم حصلوا، و لا سلمت عقولهم من النقص و القدح فيها.

ثم ذكر سبب الظهور و الانتصار للدين الإسلامي، الحسي و المعنوي، فقال:

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ)

أي: بالعلم النافع و العمل الصالح.

بالعلم الذي يهدي إلى الله و إلى دار كرامته،

و يهدي لأحسن الأعمال و الأخلاق، و يهدي إلى مصالح الدنيا و الآخرة.

(وَدِينِ ٱلۡحَقِّ)

أي: الدين الذي يدان به، و يتعبد لرب العالمين الذي هو حق و صدق،

لا نقص فيه، و لا خلل يعتريه،

بل أوامره غذاء القلوب و الأرواح، و راحة الأبدان،

و ترك نواهيه سلامة من الشر و الفساد

فما بعث به النبي ﷺ من الهدى و دين الحق،

أكبر دليل و برهان على صدقه، و هو برهان باق ما بقي الدهر،

كلما ازداد العاقل تفكرا، ازداد به فرحا و تبصرا.

(لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ)

أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة و البرهان،

و يظهر أهله القائمين به بالسيف و السنان،

فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت،

فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه و بلسه،

و صار له الظهور و القهر،

و أما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، و استناروا بنوره، و اهتدوا بهديه،

في مصالح دينهم و دنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد،

و لا بد أن يظهروا على أهل الأديان،

و إذا ضيعوه و اكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك،

و صار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم،

و يعرف هذا، من استقرأ الأحوال و نظر في أول المسلمين و آخرهم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾
وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ
كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ
فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ

فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠

هذه وصية ودلالة و إرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين،

لأعظم تجارة، و أجل مطلوب، و أعلى مرغوب،

يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، و الفوز بالنعيم المقيم.

و أتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر،

و يسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟

فقال

(تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)

و من المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به،

المستلزم لأعمال الجوارح،

و من أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله

فلهذا قال:

(وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ)

بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام،

و القصد نصر دين الله

و إعلاء كلمته، و تنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب،

فإن ذلك، و لو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه

(ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء،

و العز المنافي للذل و الرزق الواسع، و سعة الصدر و انشراحه.

و في الآخرة الفوز بثواب الله و النجاة من عقابه،

و لهذا ذكر الجزاء في الآخرة،

فقال: (يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ)

و هذا شامل للصغائر و الكبائر،

فإن الإيمان بالله و الجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، و لو كانت كبائر.

(وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)

أي: من تحت مساكنها و قصورها و غرفها و أشجارها،

أنهار من ماء غير آسن،

و أنهار من لبن لم يتغير طعمه،

و أنهار من خمر لذة للشاربين،

و أنهار من عسل مصفى، و لهم فيها من كل الثمرات،

(وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ)

أي: جمعت كل طيب، من علو و ارتفاع، و حسن بناء و زخرفة،

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين،
يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي
و حتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب و بعضه من لبن فضة،
و خيامها من اللؤلؤ و المرجان،
و بعض المنازل من الزمرد و الجواهر الملونة بأحسن الألوان،
حتى إنها من صفائها يرى ظاهرها من باطنها، و باطنها من ظاهرها،
و فيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين،
و لا خطر على قلب أحد من العالمين،
لا يمكن أن يدركوه حتى يروه،
و يتمتعوا بحسنه و تقر أعينهم به،
ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة،
و أنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح
فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه،
بل هو كما أثنى على نفسه
و فوق ما يثني عليه عباده وتبارك الجليل الجميل،
الذي أنشأ دار النعيم،
و جعل فيها من الجلال و الجمال ما يبهر عقول الخلق و يأخذ بأفئدتهم.
و تعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها،:-

أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها و نظروا إلى ما فيها من النعيم –لما تخلف عنها أحد،

و لما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة،

المشوب نعيمها بألمها، و سرورها بترحها.

(جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ)

و سميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها،

لا يخرجون منها أبدا، و لا يبغون عنها حولا

(ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)

ذلك الثواب الجزيل، و الأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

و أما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله:

وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ)

أي: و يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها و هي:

(نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ)

لكم على الأعداء، يحصل به العز و الفرح،

(وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ)

***عاجل –تتسع به دائرة الإسلام، و يحصل به الرزق الواسع،

فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين،

و أما المؤمنون من غير أهل الجهاد،

إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله و إحسانه،

***كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7]

بل قال:

(وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

أي: بالثواب العاجل و الآجل، كل على حسب إيمانه،

و إن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي ﷺ:

في صحيح البخاري –2790

إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،

فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،

فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَ أَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،

وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤

ثم قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ)

أي: بالأقوال و الأفعال، و ذلك بالقيام بدين الله،

و الحرص على إقامته على الغير، و جهاد من عانده و نابذه،

بالأدان و الأموال،

و من نصر الباطل بما يزعمه من العلم و رد الحق، بدحض حجته،

و إقامة الحجة عليه، و التحذير منه.

و من نصر دين الله، تعلم كتاب الله و سنة رسوله،

و الحث على ذلك، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

ثم هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله:

(كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ)

أي: قال لهم عارضا و منهضا من يعاونني و يقوم معي في نصرتي لدين الله،

و يدخل مدخلي، و يخرج مخرجي؟

فابتدر الحواريون، قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ (نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ)

فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله و نصر دينه،

هو و من معه من الحواريين،

*** سنن أبي داود

4734 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ:

«أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»

(فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

بسبب دعوة عيسى والحواريين،

(وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ)

منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين،

(فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ)

أي: قويناهم و نصرناهم عليهم.

(فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ)

***ببعثة محمد ﷺ

عليهم و قاهرين لهم ،

فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه،

ينصركم الله كما نصر من قبلكم، و يظهركم على عدوكم.

***الطبري 34066-نسائي كبري 11527

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

قَالَ: " لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ،

خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ هُمْ فِي بَيْتٍ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً ،
فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى شَبَهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟
فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا ، فَقَالَ: أَنَا،
فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ ،
فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ،
فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى عليه السلام: نَعَمْ أَنْتَ،
فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى عليه السلام
ثُمَّ رُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ،
وَ جَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ،
فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلشَّبِهِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ،
فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ ،
١ -فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ،
٢ -وَ قَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَ هَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ،
٣ -وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا ،
حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} [الصف: 14] ،
يَعْنِي الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى عليه السلام
وَالطَّائِفَةُ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى

{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ} [الصف: 14]

بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺدِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ

{فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: 14]

صحيح مسلم

(1920) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَ هُمْ كَذَلِكَ»، ( )

قال البخاري هم أهل العلم

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم

قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث

قال الإمام النووي يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير

ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض

(من خذلهم) يعني من خالفهم

(حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة]

62–تفسير سورة الجمعة–و هي مدنية

*** صحيح مسلم -877

عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ،
قَالَ: اسْتَخْلَفَ مَرْوَانُ أَبَا هُرَيْرَةَ، بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي رِوَايَةِ حَاتِمٍ:
فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي السَّجْدَةِ الْأُولَى وَ فِي الْآخِرَةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾
هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن
زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ
أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ
فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾

أي: يسبح لله، و ينقاد لأمره، و يتألهه، و يعبده، جميع ما في السماوات

و الأرض،

لأنه(ٱلۡمَلِكِ)

الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي و السفلي،

فالجميع مماليكه، و تحت تدبيره،

(ٱلۡقُدُّوسِ)

المعظم، المنزه عن كل آفة و نقص،

(ٱلۡعَزِيزِ)

القاهر للأشياء كلها،

(ٱلۡحَكِيمِ)

في خلقه و أمره.

فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤

المراد (هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ)

*** {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 44]

و هو ذكر لغيرهم يتذكرون به و لا ينافي قولَه

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف: 158]

–الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة من العرب و غيرهم،

ممن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم، منة عظيمة،

أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم و الخير،

و كانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار و الأصنام و الأحجار،

و يتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويهم ضعيفهم،

و قد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء،

(رَسُولًا مِّنْهُمْ)

فبعث الله فيهم رسولا منهم، يعرفون نسبه، و أوصافه الجميلة و صدقه،

و أنزل عليه كتابه

(يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ)

القاطعة الموجبة للإيمان و اليقين،

(وَيُزَكِّيهِمْ)

بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، و يفصلها لهم،

و يزجرهم عن الأخلاق الرذيلة،

(وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ)

أي: علم القرآن و علم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين و الآخرين،
فكانوا بعد هذا التعليم و التزكية منه أعلم الخلق،
بل كانوا أئمة أهل العلم و الدين، و أكمل الخلق أخلاقًا،
و أحسنهم هديًا و سمتًا، اهتدوا بأنفسهم، و هدوا غيرهم،
فصاروا أئمة المهتدين، و هداة المؤمنين،
فلله عليهم ببعثه هذا الرسول ﷺ، أكمل نعمة، و أجل منحة،
***وَ هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ مِصْدَاقُ إِجَابَةِ اللَّهِ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ
{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129].
فَبَعَثَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ، عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، و
طُمُوس مِنَ السُّبُلِ، وَ قَدِ اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ،
وَقَدْ مَقَتَ اللَّهُ أهلَ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
-أَيْ: نَزْرًا يَسِيرًا-مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى
{هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ}
وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَدِيمًا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام
فَبَدَّلُوهُ وَ غَيَّرُوهُ، وَ قَلَبُوهُ وَ خَالَفُوهُ، وَاسْتَبْدَلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكًا
وَ بِالْيَقِينِ شَكًّا، وَابْتَدَعُوا أَشْيَاءَ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ
وَ كَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَ حَرَّفُوهَا وَ غَيَّرُوهَا وَ أَوَّلُوهَا،

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِشَرْعٍ عَظِيمٍ كَامِلٍ شَامِلٍ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ،
فِيهِ هِدَايَتُهُمْ،
وَ الْبَيَانُ لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَ مَعَادِهِمْ،
وَ الدَّعْوَةُ لَهُمْ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ،
وَ النَّهْيُ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى النَّارِ وَ سَخَطِ اللَّهِ. حَاكِمٌ،
فَاصِلٌ لِجَمِيعِ الشُّبَهَاتِ وَ الشُّكُوكِ وَ الرَّيْبِ فِي الْأُصُولِ وَ الْفُرُوعِ.
و جمَعَ لَهُ تَعَالَى، وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ، جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ،
وَ أَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعطِ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا يُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْآخَرِينَ،
فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

و قوله ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾

*** صحيح البخاري

4897 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ:

{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: 3]

قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَ فِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ،

وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ،

ثُمَّ قَالَ:«لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلاَءِ»؛( )

(سورة الجمعة) أي وفيها هذه الآية

أي:و امتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم،
و من أهل الكتاب،
***هُمُ الْأَعَاجِمُ، وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيِّ ﷺمِنْ غَيْرِ العرب.
(لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ): أي: فيمن باشر دعوة الرسول،
و يحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل،
و يحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان،
و على كل، فكلا المعنيين صحيح،
فإن الذين بعث الله فيهم رسوله و شاهدوه و باشروا دعوته،
حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحدًا أن يلحقهم فيها،
و هذا من عزته و حكمته، حيث لم يترك عباده هملا و لا سدى،
بل ابتعث فيهم الرسل، و أمرهم و نهاهم،
و ذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتيه من يشاء من عباده،
و هو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن و سعة الرزق،

{وآخرين منهم} فلما قرأها قلت من هم؟
(لما يلحقوا بهم) في الفضل
(فلم يراجعه) لم يجبه على سؤاله.
(الثريا) مجموعة من النجوم مشهورة.
(لناله) لسعى إليه وحصله.
(من هؤلاء) أي الفرس بدلالة وضع يده على سلمان ﷺ]

و غير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، و السعادة الأبدية.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ

*** مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَ مَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ بَعْثَتِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

*** {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: 179]

لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي،

و ما خصهم الله به من المزايا والمناقب،التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب،

الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون و الأحبار المتقدمون،

(مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا)

ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود و كذا النصارى

و أمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ،

ضرب مثل لليهود و اقامة الحجة عليهم 5-8

وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم،

(كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ)

و أن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم،

فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟

و هل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟

أم حظه منها حملها فقط؟

فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة،

الذي من أجله و أعظمه الأمر باتباع محمد ﷺو البشارة به،

و الإيمان بما جاء به من القرآن،

فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة و الخسران و إقامة الحجة عليه؟

فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا و صدق ما جاء به.

(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا،

و العناد لهم نعتًا و من ظلم اليهود و عنادهم،

أنهم يعلمون أنهم على باطل، و يزعمون أنهم على حق،

و أنهم أولياء الله من دون الناس.

(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُواْ)

* اليهود

(إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ هَادُواْ)

و لهذا أمر الله رسوله، أن يقول لهم:

إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، و أولياء الله:

(فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

و هذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدي الذي جعله الله دليلا على صدقهم إن تمنوه،

و كذبهم إن لم يتمنوه و لما لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك، علم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه و فساده، ولهذا قال:

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾

أي من الذنوب و المعاصي، التي يستوحشون من الموت من أجلها،

***بما يعلمون من الكفر و الظلم و الفجور

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء،

هذا و إن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، و يفرون منه غاية الفرار، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقيهم الموت الذي قد حتمه الله على العباد و كتبه عليهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾

ثم بعد الموت واستكمال الآجال، يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب و الشهادة،

***كقوله {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: 78]

﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير و شر، قليل و كثير.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ
ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا
ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سورة المنافقون-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞وَإِذَا
رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ
صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ
وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ
فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ
وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

*** صحيح مسلم

(854) عن أَبَي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ،
وَ فِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ،
وَ فِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»

***صحيح البخاري -935

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ:
«فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ،
وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي،
يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا،
إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَ أَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا

***وَ قَدْ كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ.
وَ ثَبَتَ أَنَّ الْأُمَمَ قَبْلَنَا أُمِرُوا بِهِ فَضَلّوا عَنْهُ،
وَ اخْتَارَ الْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقٌ
وَ اخْتَارَ النَّصَارَى يومَ الْأَحَدِ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ الْخَلْقُ،
وَ اخْتَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الخَليقَةَ،

***صحيح البخارى -876

عن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
«نَحْنُ الآخِرُونَ(زمانا) السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،
ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ
تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا، وَ النَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»

صحيح مسلم -856

عَنْ حُذَيْفَةَ، : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ،
وَ كَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَ السَّبْتَ، وَ الْأَحَدَ،
وَ كَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة و المبادرة إليها،

من حين ينادى لها والسعي إليها،

من احكام صلاة الجمعة 9-11

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾

و المراد بالسعي هنا: المبادرة إليها و الاهتمام لها، و جعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة،

***كقوله

{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}

[الإسراء: 19]

و نهي النبي عن المشي السريع:

صحيح البخاري

636 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ

وَ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ،

وَ لاَ تُسْرِعُوا،

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَ مَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»( )

***وَ إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِحُضُورِ الْجُمُعَةِ الرِّجَالُ الْأَحْرَارُ دُونَ النِّسَاءِ وَ الْعَبِيدِ وَ الصِّبْيَانِ،
وَ يُعْذَرُ الْمُسَافِرُ وَ الْمَرِيضُ، و قَيّم الْمَرِيضِ،
وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ.

و قوله:

(وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ)

أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، و امضوا إليها.

***وَ لِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَيْعِ بَعْدَ النِّدَاءِ الثَّانِي

فإن (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ)

من اشتغالكم بالبيع، و تفويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من آكد الفروض.

(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أن ما عند الله خير و أبقى، و أن من آثر الدنيا على الدين،

فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح،

و هذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة.

(فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ)

(الوقار) حسن السمت من خفض الصوت وعدم الالتفات وغض البصر

لطلب المكاسب و التجارات و لما كان الاشتغال في التجارة،

مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال:

(وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا)

أي في حال قيامكم و قعودكم و على جنوبكم،

(لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)

فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

(وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا)

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول:

صحيح البخاري936

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} [الجمعة:11]()

أي: خرجوا من المسجد، حرصًا على ذلك اللهو، و تلك التجارة،

(عير) الإبل التي تحمل التجارة من طعام أو غيره والمراد بالطعام الحنطة وما شابهها.

(فالتفتوا إليها) انصرفوا.

(لهوا) هو الطبل الذي كان يضرب به إعلاما بقدوم التجارة.

(انفضوا) تفرقوا

و تركوا الخير،

(وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ)

*** صحيح مسلم -862

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ:

«كَانَتْ لِلنَّبِيِّﷺخُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَ يُذَكِّرُ النَّاسَ»

تخطب الناس، وذلك في يوم جمعة، بينما النبي ﷺيخطب الناس،

إذ قدم المدينة، عير تحمل تجارة،

فلما سمع الناس بها، و هم في المسجد، انفضوا من المسجد،

و تركوا النبي يخطب استعجالا لما لا ينبغي أن يستعجل له، و ترك أدب،

(قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ)

من الأجر و الثواب، لمن لازم الخير و صبر نفسه على عبادة الله.

(خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)

التي، و إن حصل منها بعض المقاصد،

فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة،

و ليس الصبر على طاعة الله مفوتًا للرزق،

(وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)

فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب.

و في هذه الآيات فـــــوائد عديدة:

1–أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، و المبادرة و الاهتمام بشأنها.

2–أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضتان يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.

3–مشروعية النداء ليوم الجمعة، و الأمر به.

4–النهى عن البيع والشراء، بعد نداء الجمعة، و تحريم ذلك، و ما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر و لو كان مباحًا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

5–الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، و ذم من لم يحضرهما، و من لازم ذلك الإنصات لهما.

6–أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو و التجارات و الشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، و ما لمؤثر رضاه على هواه.

63–تفسير سورة المنافقين–وهي مدنية–بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ
خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ
﴿٤﴾

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

صحيح البخاري

4900 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ:
كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ-
1- لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ،
2-وَ لَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِه لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ،
فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ،
فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ،
فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ صَدَّقَهُ،
فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ،
فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ مَقَتَكَ؟

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ} [المنافقون:1]
فَبَعَثَ إِلَيّ النّبِيّ ﷺفَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنّ اللّهَ قَدْ صَدّقَكَ يَا زَيْدُ»

لما قدم النبي المدينة، و كثر المسلمون في المدينة و اعتز الإسلام بها ،
صار أناس من أهلها من الأوس و الخزرج،
يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر،
ليبقى جاههم، و تحقن دماؤهم، و تسلم أموالهم،
فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم،
و يكونوا منهم على بصيرة، فقال:

خصال المنافقين و الرد عليهم 1-8

(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟)
على وجه الكذب:
(نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ)
و هذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب و النفاق،
مع أنه لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن
(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ)
في قولهم و دعواهم، و أن ذلك ليس بحقيقة منهم.
(ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً)

أي: ترسًا يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق.

(فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ)

فصدوا عن سبيله بأنفسهم، و صدوا غيرهم ممن يخفى عليه حالهم،

(إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

حيث أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر،

و أقسموا على ذلك و أوهموا صدقهم.

(ذَٰلِكَ)

الذي زين لهم النفاق

(بـ) سبب

(بِأَنَّهُمۡ)

لا يثبتون على الإيمان.

بل

(ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ)

بحيث لا يدخلها الخير أبدًا،

(فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ)

ما ينفعهم، و لا يعون ما يعود بمصالحهم.

(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)

من روائها و نضارتها،

*** كَانُوا أَشْكَالًا حَسَنَةً

وَ هُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ و الخَور وَ الْهَلَعِ وَ الْجَزَعِ وَ الْجُبْنِ

كقوله {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}

[الأحزاب: 19]

(وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)

***وَ ذَوِي فَصَاحَةٍ وَ أَلْسِنَةٍ، إِذَا سَمِعَهُمُ السَّامِعُ يُصْغِي إِلَى قَوْلِهِمْ لِبَلَاغَتِهِمْ،

أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه، فأجسامهم و أقوالهم معجبة،

و لكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة و الهدى الصالح شيء،

و لهذا قال: (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ)

لا منفعة فيها، و لا ينال منها إلا الضرر المحض،

*و هم لفراغ قلوبهم من الإيمان، و عقولهم من الفهم و العلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها:الميسر

(يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ)

و ذلك لجبنهم و فزعهم و ضعف قلوبهم،

و الريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم.

فهؤلاء (هُمُ ٱلۡعَدُوُّ)

على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز، أهون من العدو الذي لا يشعر به،

و هو مخادع ماكر، يزعم أنه ولي، و هو العدو المبين،

(فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ)

أخزاهم الله و طردهم من رحمته:الميسر

(أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ)

أي:كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته،و اتضحت معالمه،

إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار و الشقاء.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ
أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ
اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

***صحيح البخاري

4905 - عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ -

فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ،
فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ،
وَ قَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ،
فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ،
فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»
فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ،
فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَ اللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ،
فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺفَقَامَ عُمَرُ
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»
وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ،
ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ، ( )
صحيح البخاري
4904 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ:
كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، يَقُولُ :
1-لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا،
2-وَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ،
فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ،

-كَسَعَ :أَنَّهُ ضَرْبُ الدُّبُرِ بِالْيَدِ أَوْ بِالرِّجْلِ

فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَ أَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا،
وَ كَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺوَ صَدَّقَهُمْ،
فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي،
وَ قَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺوَ مَقَتَكَ؟
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}
[المنافقون: 1]
وَ أَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺفَقَرَأَهَا، وَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لهؤلاء المنافقين

(تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ)

عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، و تقبل أعمالكم،

امتنعوا من ذلك أشد الامتناع،

و(لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ)

امتناعًا من طلب الدعاء من الرسول،

* أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً و استكباراً:الميسر

(وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ)

عن الحق بغضًا له

(وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)

عن اتباعه بغيًا و عنادًا،

فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول،

و هذا من لطف الله و كرامته لرسوله:-

حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم،

(سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ

فإنه سواء استغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)

و ذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله،

مُؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول،

لو استغفر لهم كما قال تعالى:

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}

[التوبة: 80]

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨

و هذا من شدة عداوتهم للنبي ﷺوالمسلمين،

لما رأوا اجتماع أصحابه و ائتلافهم، و مسارعتهم في مرضاة الرسول ﷺ،

قالوا بزعمهم الفاسد:

(هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ)

* هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل المدينة- لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه:الميسر

فإنهم – بزعمهم – لولا أموال المنافقين و نفقاتهم عليهم،

لما اجتمعوا في نصرة دين الله،

و هذا من أعجب العجب:

أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين،

و أذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج

إلا على من لا علم له بحقائق الأمور و لهذا قال الله ردًا لقولهم:

(وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

فيؤتي الرزق من يشاء، و يمنعه من يشاء،

و ييسر الأسباب لمن يشاء، و يعسرها على من يشاء،

(وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ)

فلذلك قالوا تلك المقالة،

التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، و تحت مشيئتهم.

(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى)

و ذلك في غزوة المريسيع،:-

حين صار بين بعض المهاجرين و الأنصار، بعض كلام كدر الخواطر،

ظهر حينئذ نفاق المنافقين، و أظهروا ما في نفوسهم .

و قال كبيرهم، عبد الله بن أبي بن سلول:

ما مثلنا ومثل هؤلاء – يعني المهاجرين– إلا كما قال القائل:

« غذ كلبك يأكلك »

و قال: لئن رجعنا إلى المدينة

(ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ)

بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزون،

و أن رسول الله و من معه هم الأذلون،

و الأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلهذا قال تعالى:

(وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)

فهم الأعزاء، و المنافقون و إخوانهم من الكفار هم الأذلاء.

(وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

ذلك فلذلك زعموا أنهم الأعزاء، اغترارًا بما هم عليه من الباطل،

ثم قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)

توجيهات للمؤمنين 9-11

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره،

فإن في ذلك الربح و الفلاح، و الخيرات الكثيرة،

و ينهاهم أن تشغلهم أموالهم و أولادهم عن ذكره،

فإن محبة المال و الأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله،

و في ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى:

(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ)

أي: يلهه ماله و ولده، عن ذكر الله

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)

للسعادة الأبدية، و النعيم المقيم،

لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، قال تعالى:

{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: 15]

و قوله: (وَأَنفِقُواْ)

يدخل في هذا، النفقات الواجبة، من الزكاة و الكفارات

و نفقة الزوجات، و المماليك، و نحو ذلك، و النفقات المستحبة،

كبذل المال في جميع المصالح، و قال:

(مِمَّا رَزَقْنَاكُم)

ليدل ذلك على أنه تعالى،لم يكلف العباد من النفقة، ما يعنتهم و يشق عليهم،

بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم و يسر لهم أسبابه.

فليشكروا الذي أعطاهم

1- بمواساة إخوانهم المحتاجين،

2-و ليبادروا بذلك، الموت الذي إذا جاء،

لم يمكن العبد أن بمثقال ذرة من الخير، و لهذا قال:

(مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ)

*** كقوله في الكفار:-

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ(99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

[المؤمنون: 99، 100]

متحسرًا على ما فرط في وقت الإمكان، سائلا الرجعة التي هي محال:

(فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ)

أي: لأتدارك ما فرطت فيه،

(فَأَصَّدَّقَ)

من مالي، ما به أنجو من العذاب، و أستحق به جزيل الثواب،

(وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

بأداء المأمورات كلها، و اجتناب المنهيات،

و يدخل في هذا، الحج و غيره،

و هذا السؤال و التمني، قد فات وقته، و لا يمكن تداركه، و لهذا قال:

(وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا)

المحتوم لها

***لَا يَنْظُرُ أَحَدًا بَعْدَ حُلُولِ أَجْلِهِ، وَ هُوَ أَعْلَمُ وَ أَخْبَرُ بِمَنْ يَكُونُ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ وَ سُؤَالِهِ مِمَّنْ لَوْ رُدّ لَعَادَ إِلَى شَرٍّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ

*{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام28]

وَ لِهَذَا قَالَ (وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)

من خير و شر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات و الأعمال.

64 -تفسير سورة التغابن-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ
مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ
وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا
فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ
لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا
يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ
١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)

من مظاهر قدرة الله و علمه 1-4

هذه الآيات الكريمات ، مشتملات على جملة كثيرة واسعة،

من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، و سعة غناه،

و افتقار جميع الخلائق إليه،

و تسبيح من في السماوات و الأرض بحمد ربها،

(لَهُ ٱلۡمُلۡكُ)

و أن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه،

(وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ)

و الحمد كله لـــــــه:-

1-حمد على ما له من صفات الكمال،

2-و حمد على ما أوجده من الأشياء،

3-و حمد على ما شرعه من الأحكام، و أسداه من النعم.

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

و قدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريده.

(هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ)

و ذكر أنه خلق العباد، و جعل منهم المؤمن و الكافر،
فإيمانهم و كفرهم كله، بقضاء الله و قدره، و هو الذي شاء ذلك منهم،
بأن جعل لهم قدرة و إرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر و النهي،

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) .

فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهي،
ذكر خلق باقي المخلوقات، فقال:

(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)

أي: أجرامهما، و جميع ما فيهما، فأحسن خلقهما،

(بِٱلۡحَقِّۖ)

أي: بالحكمة، و الغاية المقصودة له تعالى،

(وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ)

***كقوله { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ 7 فِى أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } [الانفطار: 6 - 8]

كما قال تعالى:

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]

فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، و أبهاها منظرًا.

(وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ)

أي: المرجع يوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم و كفركم،

و يسألكم عن النعم و النعيم، الذي أولاكموه

هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟

ثم ذكر عموم علمه، فقال: (يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

أي: من السرائر و الظواهر، و الغيب و الشهادة.

(وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ)

أي: بما فيها من الأسرار الطيبة،

و الخبايا الخبيثة،

و النيات الصالحة،

و المقاصد الفاسدة،

وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

فإذا كان عليمًا بذات الصدور، تعين على العاقل البصير،

أن يحرص و يجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة،

و اتصافه بالأخلاق الجميلة.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف و يعبد،

و يبذل الجهد في مرضاته، و تجتنب مساخطه،

قصة قوم كذبوا بربهم 5-6

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ)

أخبر بما فعل بالأمم السابقين، و القرون الماضين،

الذين لم تزل أنباؤهم يتحدث بها المتأخرون، و يخبر بها الصادقون،

و أنهم حين جاءتهم الرسل بالحق، كذبوهم و عاندوهم،

(فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ)

فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، و أخزاهم فيها،

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

في الدار الآخرة، و لهذا ذكر السبب في هذه العقوبة فقال:

(ذَٰلِكَ)

النكال و الوبال، الذي أحللناه بهم

(بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

أي: بالآيات الواضحات، الدالة على الحق و الباطل، فاشمأزوا،

و استكبروا على رسلهم،

(فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا)

أي: فليس لهم فضل علينا، و لأي: شيء خصهم الله دوننا،

كما قال في الآية الأخرى:

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: 11]

فهم حجروا فضل الله و منته على أنبيائه أن يكونوا رسلا للخلق،

و استكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار و الأشجار و نحوها

(فَكَفَرُوا)

بالله

(وَتَوَلَّوا)

عن طاعة الله،

(وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ)

عنهم، فلا يبالي بهم، و لا يضره ضلالهم شيئًا،

(وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)

أي: هو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه،

الحميد في أقواله و أفعاله و أوصافه.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧

(زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ)

انكار المشركين للبعث و عقابهم و ثواب المؤمنين 7-11

يخبر تعالى عن عناد الكافرين، و زعمهم الباطل،

و تكذيبهم بالبعث بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير،

(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)

***وَ هَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺأَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى وُقُوعِ الْمَعَادِ وَ وُجُودِهِ

فَالْأُولَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [يُونُسَ: 53]

وَ الثَّانِيَةُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} الْآيَةَ [سبأ: 3]

فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم،

و جزائهم بأعمالهم الخبيثة، و تكذيبهم بالحق،

(وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)

فإنه وإن كان عسيرًا بل متعذرًا بالنسبة إلى الخلق،

فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت واحد ، ما قدروا على ذلك.

و أما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى:

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } [الزمر: 68]

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، و أن ذلك منهم موجب كفرهم بالله و آياته، أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء،

(فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ)

و هو الإيمان بالله ورسوله و كتابه، و سماه الله نورًا،

فإن النور ضد الظلمة،

و ما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام و الشرائع و الأخبار،

أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة،

و يمشى بها في حندس الليل البهيم،

و ما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها،

و شرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها و لا نفع،

إلا ما وافق ما جاءت به الرسل،

و الإيمان بالله ورسوله و كتابه، يقتضي الجزم التام، و اليقين الصادق بها،

و العمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، و اجتناب المناهي

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)

فيجازيكم بأعمالكم الصالحة و السيئة.

يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ

ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ

*** كقوله{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: 103]

يعني: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين و الآخرين،

و يقفهم موقفًا هائلا عظيمًا، و ينبئهم بما عملوا،

فحينئذ يظهر الفرق و التفاوت بين الخلائق،

و يرفع أقوام إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، و المنازل المرتفعات، المشتملة على جميع اللذات و الشهوات،

و يخفض أقوام إلى أسفل سافلين، محل الهم و الغم، و الحزن، و العذاب الشديد،

و ذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، و أسلفوه أيام حياتهم،

و لهذا قال: (ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۖ)

فتح القدير

لسان العرب

أي: يظهر فيه التغابن و التفاوت بين الخلائق، و يغبن المؤمنون الفاسقين، و يعرف المجرمون أنهم على غير شيء، و أنهم هم الخاسرون،

فكأنه قيل: بأي شيء يحصل الفلاح و الشقاء و النعيم و العذاب؟

*** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْبِنُونَ أَهْلَ النَّارِ. وَ كَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَ مُجَاهِدٌ.
وَ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ:
لَا غَبْنَ أعظمُ مِنْ أَنْ يُدْخَلَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، و يُذْهَب بِأُولَئِكَ إِلَى النَّارِ.
قُلْتُ: وَ قَدْ فُسِّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: (وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ)
أي:إيمانًا تامًا، شاملا لجميع ما أمر الله بالإيمان به،

(وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا)
من الفرائض و النوافل، من أداء حقوق الله و حقوق عباده.

(يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)
فيها ما تشتهيه الأنفس، و تلذ الأعين، و تختاره الأرواح، و تحن إليه القلوب، و يكون نهاية كل مرغوب،

(خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)

*جاء في فتح القدير:عودة

و ذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً،

فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل

و يغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر و أهل الطاعة أهل المعصية،

و لا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة و هؤلاء النار،

فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشر و الجيد بالرديء و النعيم بالعذاب، و أهل الجنة على العكس من ذلك.

يقال غبنت فلاناً: إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه والغلبة، كذا قال المفسرون، فالمغبون من غبن أهله و منازله في الجنة

*جاء في لسان العرب:عودة

و يوم التّغَابُن يوم البعث

و قيل سمي بذلك

لأَن أَهل الجنة يَغْبِنُ فيه أَهلَ النار بما يصير إليه أَهل الجنة من النعيم و يَلْقَى فيه أَهلُ النار من العذاب الجحيم

و يَغْبِنُ من ارتفعت منزلتُه في الجنة مَنْ كان دُونَ منزلته

و ضرب الله ذلك مثلاً للشراء و البيع

كما قال تعالى (هل أدُلُّكُم على تجارة تُنْجيكم من عذاب أَليم)

وسئل الحسن عن قوله تعالى ذلك يومُ التَّغابُنِ

فقال غَبَنَ أَهلُ الجنة أَهلَ النار أَي اسْتَنْقَصُوا عقولَهم باختيارهم الكفر على الإِيمان

و نَظَر الحَسَنُ إِلى رجل غَبَنَ آخر في بيع

فقال إِن هذا يَغْبِنُ عقلَك أَي يَنْقُصه وغَبَنَ الثوبَ يَغْبِنُه غَبْناً كفه

و في التهذيب طالَ فَتْناه وكذلك كَبَنه

و ما قُطِعَ من أَطراف الثوب فأُسقطَ غَبَنٌ

و قال الأَعشى يُساقِطُها كسقاط الغَبَنْ

و الغَبْنُ ثَنْيُ الشيء من دَلْوٍ أَو ثوب لِيَنْقُصَ من طوله ابن شميل يقال هذه الناقة ما شئْتَ من ناقةٍ ظَهْراً وكَرَماً غير أَنها مَغْبُونة لا يعلم ذلك منها وقد غَبَنُوا خَبَرها وغَبِنُوها أَي لم يَعْلَمُوا عِلْمَها

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟
وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا
لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ)

توجيهات للمؤمنين 11-18

أي: كفروا بها من غير مستند شرعي و لا عقلي،

بل جاءتهم الأدلة و البينات، فكذبوا بها، و عاندوا ما دلت عليه.

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ)

لأنها جمعت كل بؤس و شدة، و شقاء و عذاب.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ)

***كقوله { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: 22]

هذا عام لجميع المصائب، في النفس،و المال،و الولد،و الأحباب،و نحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله و قدره،

قد سبق بذلك علم الله تعالى، و جرى به قلمه، و نفذت به مشيئته، و اقتضته حكمته، و الشأن كل الشأن:

هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟

فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، و الأجر الجميل، في الدنيا و الآخرة،

(وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)

فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، و سلم لأمره، هدى الله قلبه،

فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه،
بل يرزقه الثبات عند ورودها و القيام بموجب الصبر،
فيحصل له بذلك ثواب عاجل،
مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب
كما قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: 10]
و علم من هذا أن:– من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب،
بأن لم يلحظ قضاء الله و قدره،
بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، و يكله الله إلى نفسه،
و إذا وكل العبد إلى نفسه،
فالنفس ليس عندها إلا الجزع و الهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد،
قبل عقوبة الآخرة،
على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله:
في مقام المصائب الخاص،
و أما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي،
فإن الله أخبر أن كل من آمن
أي: الإيمان المأمور به،من الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره،
و صدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه و واجباته،

*** يَسْتَرْجِعُ

*** يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

عَنْ أَبِي ظِبْيان قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلْقَمَةَ فَقُرِئَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ:

{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ:-

فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَ يُسَلِّمُ.

***صحيح مسلم (2299)

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

*** وَ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ قَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَ احْتَسَبَ وَ اسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ، هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، و عَوَّضه عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدى فِي قَلْبِهِ، وَ يَقِينًا صَادِقًا، وَ قَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ.

أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في:-

أحواله و أقواله، و أفعاله و في علمه و عمله.

و هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار:

أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال:

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

[إبراهيم: 27]

فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا،

و أثبتهم عند المزعجات والمقلقات

و ذلك لما معهم من الإيمان.

وقوله: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)

أي: في امتثال أمرهما، و اجتناب نهيهما،

فإن طاعة الله و طاعة رسوله، مدار السعادة، و عنوان الفلاح،

(فَإِن تَوَلَّيْتُمْ)

أي عن طاعة الله و طاعة رسوله،

(فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)

*** مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ

أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغًا يبين لكم و يتضح و تقوم عليكم به الحجة،

و ليس بيده من هدايتكم، و لا من حسابكم من شيء،

و إنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله و طاعة رسوله، أو عدم ذلك،

عالم الغيب و الشهادة.

(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ)

أي: هو المستحق للعبادة و الألوهية، فكل معبود سواه فباطل،

(وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ)

أي:فيلعتمدوا عليه في كل أمر نابهم، و فيما يريدون القيام به،

فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله،

و لا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله،

و لا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه،

و يثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به،

و بحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل

*** ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ

فَالْأَوَّلُ خَبَرٌ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الطَّلَبِ،

أَيْ: وَحِّدُوا الْإِلَهِيَّةَ لَهُ، وَ أَخْلِصُوهَا لَدَيْهِ، وَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} [المزمل: 9] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ
فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤
إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ

* جاء في الصحيح المسند من اسباب للنزول
سنن الترمذي ت شاكر 3317
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14]
قَالَ: «هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
وَ أَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ،
فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ ﷺ
فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقُهُوا فِي الدِّينِ
هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ»،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14]

---

* ** كقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج و الأولاد،

(عَدُوًّا لَّكُمْ)

فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر،

ووظيفتك الحذر ممن هذا وصفه، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد،

(فَاحْذَرُوهُمْ)

و لو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي و رغبهم في امتثال أوامره،

و تقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم

المشتمل على المطالب العالية و المحاب الغالية،

و أن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية،

و لما كان النهي عن طاعة الأزواج و الأولاد، فيما هو ضرر على العبد،

و التحذير من ذلك،

قد يوهم الغلظة عليهم و عقابهم،

أمر تعالى بالحذر منهم، و الصفح عنهم والعفو،

فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال:

(وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

لأن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا عفا الله عنه، و من صفح صفح الله عنه، و من غفر غفر الله له،

و من عامل الله فيما يحب، و عامل عباده كما يحبون و ينفعهم،

نال محبة الله و محبة عباده، و استوثق له أمره.

(إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ)

***فتنة و اختبار و ابتلاءلخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

(وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

*** كقوله{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}عمران 14

[صحيح ابن خزيمة]- قال الأعظمي : إسناده حسن

عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

كان رسول الله ﷺيخطب فأقبل الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان فنزل فأخذهما فوضعهما بين يديه

ثم قال : صدق الله و رسوله

(إنما أموالكم و أولادكم فتنة)

رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨

(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ)

هذا يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره و اجتناب نواهيه، و يقيد ذلك بالاستطاعة و القدرة.

فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، و أنه إذا قدر على بعض المأمور، و عجز عن بعضه، : فإنه يأتي بما يقدر عليه، و يسقط عنه ما يعجز عنه ، كما قال النبي ﷺ: في صحيح البخاري-7288

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَ اخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،
فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،

وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»( )
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ -كَمَا رَوَاهُ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ-
إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ نَاسِخَةٌ لِلَّتِي فِي "آلِ عِمْرَانَ" وَهِيَ قَوْلُهُ:
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}
[آلِ عِمْرَانَ: 102]

و يدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر،

و قوله: (وَٱسْمَعُواْ)

أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، و ما يشرعه لكم من الأحكام،

و اعلموا ذلك و انقادوا له

(وَأَطِيعُواْ)

الله و رسوله في جميع أموركم،

(وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ)

من النفقات الشرعية الواجبة و المستحبة،

(دعوني) اتركوني ولا تسألوني.
بسؤالهم) كثرة أسئلتهم.
(ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه.
قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم :-
هذا من قواعد الإسلام ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ
ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

يكن ذلك الفعل منكم خيرًا لكم في الدنيا و الآخرة،

فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى و قبول نصائحه،

و الانقياد لشرعه، و الشر كله، في مخالفة ذلك.

*** مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ،

وَ مَهْمَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ،

وَ نَزَلَ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْقَرْضِ لَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ

صحيح مسلم -758

أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ،

فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ،

ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظَلُومٍ

وَ لِهَذَا قَالَ: {يُضَاعِفْهُ لَكُمْ}

كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [الْبَقَرَةِ: 245]

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ)

و لكن ثم آفة تمنع كثيرًا من الناس، من النفقة المأمور بها،

و هو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس،

فإنها تشح بالمال، و تحب وجوده،

و تكره خروجه من اليد غاية الكراهة.

فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها(Ï)

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

لأنهم أدركوا المطلوب، و نجوا من المرهوب،

بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد، و نهي عنه،

–فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أُمرت به، و لا تخرج ما قِبلها،

لم يفلح، بل خسر الدنيا و الآخرة،

–و إن كانت نفسه نفسًا سمحة مطمئنة منشرحة لشرع الله، طالبة لمرضاة الله،

فإنها ليس بينها و بين فعل ما كلفت به إلا العلم به،

و وصول معرفته إليها، و البصيرة بأنه مرض لله تعالى،

و بذلك تفلح و تنجح و تفوز كل الفوز.

ثم رغب تعالى في النفقة فقال:

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا﴾

و هو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى

و طلب مرضاته، و وضعها في موضعها

---

*جاء في المعجم: اللغة العربية المعاصر

ما يُظهره الإنسانُ من حرصٍ وبُخْلٍ شديدَيْن على ما يملك.

و الاقتصاد فيما يُنفق

(حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ)

النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

(و) مع المضاعفة أيضًا

(وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ)

بسبب الإنفاق و الصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات:

{ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود: 114]

(وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)

لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ولا يهمله،

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [فاطر: 45]

و الله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل،

و يجازيهم عليه الكثير من الأجر،

و يشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق و الأثقال

و ناء بالتكاليف الثقال،

و من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه.

(عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ)

أي:ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو،

و ما يشاهدونه من المخلوقات،

(ٱلْعَزِيزُ)

الذي لا يغالب و لا يمانع، الذي قهر كل الأشياء،

(ٱلْحَكِيمُ)

في خلقه و أمره، الذي يضع الأشياء مواضعها.

65-تفسير سورة الطلاق-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخاطبًا لنبيه ﷺو للمؤمنين:

من أحكام الطلاق1-7

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ)

*** صحيح البخاري

4908 -عَنِ سَالِمٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ:
أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ،
فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺثُمَّ قَالَ:
«لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ،
فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا،

فَتِلْكَ العِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»( )

صحيح مسلم

(1471) عن ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ، مَوْلَى عَزَّةَ، يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا؟ فَقَالَ: طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لِيُرَاجِعْهَا»، فَرَدَّهَا، وَقَالَ: «إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْ، أَوْ لِيُمْسِكْ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»،

أي: أردتم طلاقهن

(ف) التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، من غير مراعاة لأمر الله.

بل (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)

***وَ مِنْ هَا هُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ وَ قَسَّمُـــــــــوهُ إِلَى:-

1-طَلَاقٍ سُنِّـــةٍ

2-وَ طَلَاقٍ بِـدْعَةٍ،

(فتغيظ فيه) غضب لفعله.

(يمسها) يجامعها.

(كما أمره الله) بقوله {فطلقوهن لعدتهن} أي لأول عدتهن.

فَطَلَاقُ السُّنَّةِ:

أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ، أَوْ حَامِلًا قَدِ اسْتَبَانَ حَمْلُهَا.

وَ الْبِدْعِيُّ:

هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ، أَوْ فِي طُهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَ لَا يَدْرِي أَحَمَلَتْ أَمْ لَا؟

وَ طَلَاقٌ ثَالِثٌ لَا سُنَّةَ فِيهِ وَ لَا بِدْعَةَ:

وَ هُوَ طَلَاقُ الصَّغِيرَةِ وَ الْآيِسَةِ، وَ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا، وَ تَحْرِيرُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مُسْتَقْصًى فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ، وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه واضحة بينة،

–بخلاف ما لو طلقها و هي حائض، فإنها لا تحتسب تلك الحيضة، التي وقع فيها الطلاق، و تطول عليها العدة بسبب ذلك،

– و كذلك لو طلقها في طهر وطئ فيه، فإنه لا يؤمن حملها، فلا يتبين و لا يتضح بأي عدة تعتد،

(وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ)

و أمر تعالى بإحصاء العدة،

أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض،

أو بالأشهر إن لم تكن تحيض، و ليست حاملا

فإن في إحصائها أداء لحق الله، و حق الزوج المطلق،

و حق من سيتزوجها بعد، و حقها في النفقة و نحوها

فإذا ضبطت عدتها، علمت حالها على بصيرة،

و علم ما يترتب عليها من الحقوق، و ما لها منها،

و هذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج و للمرأة، إن كانت مكلفة،

و إلا فلوليها،

و قوله: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ)

أي: في جميع أموركم، و خافوه في حق الزوجات المطلقات،

ف (لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ)

مدة العدة، بل يلزمن بيوتهن الذي طلقها زوجها و هي فيها.

(وَلَا يَخۡرُجۡنَ)

أي: لا يجوز لهن الخروج منها،

أما النهي عن إخراجها:- فلأن المسكن، يجب على الزوج للزوجة ،

لتكمل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه.

و أما النهي عن خروجها، فلما في خروجها،من إضاعة حق الزوج و عدم صونه.

و يستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت، و الإخراج إلى تمام العدة.

(إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ)

*وَ الْفَاحِشَةُ الْمُبَيِّنَةُ تَشْمَلُ الزِّنَا و تشمل ما اذا نشزَت الْمَرْأَةُ

أَوْ بَذَت عَلَى أَهْلِ الرَّجُلِ وَ آذَتْهُمْ فِي الْكَلَامِ وَ الْفِعَالِ،

أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها،

بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها،

كالأذى بالأقوال و الأفعال الفاحشة،

ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها،

و الإسكان فيه جبر لخاطرها، و رفق بها،

فهي التي أدخلت الضرر على نفسها ،

و هذا في المعتدة الرجعية،

و أما البائن، فليس لها سكنى واجبة،

لأن السكن تبع للنفقة، و النفقة تجب للرجعية دون البائن،

(وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ)

أي: التي حددها لعباده و شرعها لهم، و أمرهم بلزومها و الوقوف معها،

(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ)

بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها،

(فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ)

بخسها حظها، و أضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا و الآخرة.

(لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا)

***قَالَ: هِيَ الرَّجْعَةُ.

و من هاهنا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَفِ وَ مَنْ تَابَعَهُمْ،
كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ السُّكْنَى لِلْمَبْتُوتَةِ،
وَ كَذَا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا،
وَ اعْتَمَدُوا أَيْضًا عَلَى حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّةِ
صحيح مسلم
(1480) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ،
وَ هُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ،
فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ،
فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ،
فَقَالَ: «لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»،
فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ،
ثُمَّ قَالَ: «تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي،
اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ،
فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي»،
قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَ أَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ،
وَ أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»
فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ،
فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَ اغْتَبَطْتُ بِهِ( )

(فسخطته) أي ما رضيت به لكونه شعيرا أو لكونه قليلا
(تعتد) أي تستوفي عدتها وعدة المرأة قيل أيام أقرائها وقيل تربصها المدة الواجبة عليها
(فآذنيني) أي فأعلميني
(فلا يضع العصا عن عاتقه) فيه تأويلان مشهوران أحدهما أنه كثير الأسفار

أي: شرع الله العدة، و حدد الطلاق بها، لحكمة عظيمة:

1–أنه لعل الله يحدث في قلب المُطَلِقِ الرحمة و المودة،

فيراجع من طلقها، و يستأنف عشرتها، فيتمكن من ذلك مدة العدة،

2–أو لعله يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة،

فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق.

3–و من الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها.

و قوله:(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)

أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة،

لم يكن الزوج مخيرًا بين الإمساك والفراق.

(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)

أي: على وجه المعاشرة الحسنة، و الصحبة الجميلة،

لا على وجه الضرار، و إرادة الشر و الحبس،

فإن إمساكها على هذا الوجه، لا يجوز،

والثاني أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب

(فصعلوك) أي فقير في الغاية

(واغتبطت) في بعض النسخ واغتبطت به ولم تقع لفظة به في أكثر النسخ قال أهل اللغة اللغة الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما نال أغبطه بكسر الباء غبطا وغبطة فاغتبط هو كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس]

(أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ)

أي: فراقًا لا محذور فيه،

من غير تشاتم و لا تخاصم، و لا قهر لها على أخذ شيء من مالها.

(وَأَشۡهِدُواْ)

على طلاقها و رجعتها

(ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ)

أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدًا لباب المخاصمة،

و كتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

(وَأَقِيمُواْ)

أيها الشهداء

(ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ)

أي: ائتوا بها على وجهها، من غير زيادة و لا نقص،

و اقصدوا بإقامتها وجه الله وحده و لا تراعوا بها قريبًا لقرابته، و لا صاحبًا لمحبته،

(ذَٰلِكُمۡ)

الذي ذكرنا لكم من الأحكام و الحدود

(يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ)

فإن من يؤمن بالله و اليوم الآخر، يوجب له ذلك:-

1-أن يتعظ بمواعظ الله،

2-و أن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة، ما تمكن منها،

بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه،

فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر، و لا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك،

(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا)

***إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} [النَّحْلِ: 90]

وَ إِنَّ أَكْثَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}

أي:-مِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ وَ الْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ

-و لما كان الطلاق قد يوقع في الضيق و الكرب و الغم،

⬅أمر تعالى بتقواه،و أن من اتقاه في الطلاق و غيره

فإن الله يجعل له فرجًا و مخرجًا.

فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي،

بأن أوقعه طلقة واحدة، في غير حيض و لا طهر قد وطئ فيه

فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجًا و سعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق،

و الآية، و إن كانت في سياق الطلاق و الرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ،

-فكل من اتقى الله تعالى، و لازم مرضاة الله في جميع أحواله،
فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة.
و من جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا و مخرجًا من كل شدة و مشقة،
و كما أن من اتقى الله جعل له فرجًا و مخرجًا،
-فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد و الآصار و الأغلال،
التي لا يقدر على التخلص منها و الخروج من تبعتها،
و اعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث و نحوها،
فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها و الخروج منها.

المخرج من كل غم

قال ابن الجوزي: ضاقَ بي أمرٌ أوجبَ غمًا لازمًا دائمًا، وأخذتُ أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾(٤)، فعلمتُ أن التقوى سببٌ للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدتُ المخرج(٥).

(٤) الطلاق: ٢.
(٥) صيد الخاطر

(وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ)

أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه و لا يشعر به.
*****سنن الترمذي ت شاكر**
2516 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺيَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ،

احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،
احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،

(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ)

أي: في أمر دينه و دنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه و دفع ما يضره، و يثق به في تسهيل ذلك

(فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ)

أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به،
و إذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم،
فهو أقرب إلى العبد من كل شيء،
و لكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛
فلهذا قال تعالى:

(إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ)

***كقوله{ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: 8]

أي: لا بد من نفوذ قضائه و قدره، و لكنه

(قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا)

أي: وقتًا و مقدارًا، لا يتعداه و لا يقصر عنه.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥

لما ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة،

فقال: (وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ)

بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، و لم يرج رجوعه،

(إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ)

فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة.

*** فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا

أَيْ إِنْ رَأَيْنَ دَمًا وَشَكَكْتُمْ فِي كَوْنِهِ حَيْضًا أَوِ اسْتِحَاضَةً، وَ ارْتَبْتُمْ فِيهِ.

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي:

إِنِ ارْتَبْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتِهِنَّ، وَ لَمْ تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثُ أَشْهُرٍ.

وَ هُوَ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى،

(وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ)

أي: الصغار، اللائي لم يأتهن الحيض بعد،

و البالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية،

فإنهن كالآيسات، عدتهن ثلاثة أشهر،

و أما اللائي يحضن، فذكر الله عدتهن في قوله:

{ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]

وقوله: (وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ)

أي: عدتهن

***وَ مَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِهِ،
وَ لَوْ كَانَ بَعْدَ الطَّلَاقِ أَوِ الْمَوْتِ بِفُوَاقِ نَاقَةٍ
فِي قَوْلِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ،
كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ.

وفي صحيح البخاري

4909 -جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ،
فَقَالَ: أَفْتِنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً؟
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ الأَجَلَيْنِ،
قُلْتُ أَنَا: {وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 4]،
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ –
فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلاَمَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا،
فَقَالَتْ: «قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ وَ هِيَ حُبْلَى،
فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً،
فَخُطِبَتْ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَ كَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا»( )

(أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ)

أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، و متعدد، و لا عبرة حينئذ، بالأشهر و لا غيرها،

(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا)

أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، و سهل عليه كل عسير.

(ذَٰلِكَ)

أي: الحكم الذي بينه الله لكم

(أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ)

لتمشوا عليه، و تأتموا و تقوموا به و تعظموه.

(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا)

أي: يندفع عنه المحذور، و يحصل له المطلوب.

(آخر الأجلين) أي أقصاهما من أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل.
(فأنكحها) أي فأذن لها أن تتزوج]

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ
فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ
وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ
فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧
وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨
فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ
حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ
بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن

قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧

تقدم أن الله نهى عن إخراج المطلقات عن البيوت

تحذير المعاندين و وعد المؤمنين8-11

(أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم)

و هنا أمر بإسكانهن و قدر الإسكان بالمعروف،

و هو البيت الذي يسكنه مثله و مثلها،

(مِّن وُجۡدِكُمۡ)

سعتكم –بحسب وجد الزوج و عسره،

(وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ)

أي: لا تضاروهن عند سكناهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يملن،

فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة فتكونوا، أنتم المخرجين لهن،

و حاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن،

و نهاهن عن الخروج، و أمر بسكناهن،

على وجه لا يحصل عليهن ضرر ولا مشقة، و ذلك راجع إلى العرف،

*** يَعْنِي يُضَاجِرُهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَالِهَا أَوْ تَخْرُجَ مِنْ مَسْكَنِهِ.

(وَإِن كُنَّ)

أي: المطلقات

(أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)

–و ذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت بائنًا،

–و لها و لحملها إن كانت رجعية،

و منتهى النفقة حتى يضعن حملهن فإذا وضعن حملهن،

فإما أن يرضعن أولادهن أو لا

(فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)

المسماة لهن، إن كان مسمى، و إلا فأجر المثل،

(وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ)

***كقوله { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} [البقرة: 233]

أي:و ليأمر كل واحد من الزوجين و من غيرهما الآخر بالمعروف،

و هو كل ما فيه منفعة و مصلحة في الدنيا و الآخرة،

فإن الغفلة عن الائتمار بالمعروف، يحصل فيه من الشر و الضرر،

ما لا يعلمه إلا الله، و في الائتمار تعاون على البر و التقوى،

و مما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة،

خصوصًا إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع و التشاجر لأجل النفقة عليها و على الولد مع الفراق،

الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض،و يتأثر منه البغض شيء كثير .

فكل منهما يؤمر بالمعروف،و المعاشرة الحسنة،و عدم المشاقة و المخاصمة ،

و ينصح على ذلك.

(وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ)

بأن لم يتفقوا على إرضاعها لولدها، فلترضع له أخرى غيرها

{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 233]

وهذا حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه،

فإن لم يقبل إلا ثدي أمه، تعينت لإرضاعه،

و وجب عليها، و أجبرت إن امتنعت،

و كان لها أجرة المثل إن لم يتفقا على مسمى،

و هذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى،

فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه ،

عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد،

و كان يمكن أن يتقوت من أمه و من غيرها،

أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل،

و تعينت أمه طريقًا لقوته، ثم قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج فقال:

(لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ)

أي: لينفق الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء.

(وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ)

أي: ضيق عليه

(فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ)

من الرزق.

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا)

و هذا مناسب للحكمة و الرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه،

و خفف عن المعسر، و أنه لا يكلفه إلا ما آتاه،

فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها.

***كقوله {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286]

(سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)

و هذه بشارة للمعسرين،ن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة،و يرفع عنهم المشقة،

كقوله{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا 5 إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: 5، 6]

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة للرسل

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ ﴾

***تمردت و طغت و استكبرت

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾

***عن اتباع اوامر الله و متابعة رسله

أن كثرتهم و قوتهم، لم تنفعهم شيئًا،

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾

حين جاءهم الحساب الشديد،

﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾

حين جاءهم العذاب الأليم،

***منكرا فظيعا

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾

وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة.

***غِبَّ مخالفتها و ندموا حيث لا ينفع الندم

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾

و مع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذابا شديدًا،

(أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ)

***في الدار الاخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا

(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ)

أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره،

و أن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم،

لا فرق بين الطائفتين.

(قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا}

***القرآن و قيل الرسول

(رَّسُولٗا)

***مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ وَ مُلَابَسَةٍ؛
لِأَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي بَلَّغَ الذِّكْرَ.

(عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ }

ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه،

الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ،

(لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ}

ليخرج الخلق من ظلمات الكفر و الجهل و المعصية،إلى نور العلم و الإيمان

و الطاعة، فمن الناس، من آمن به، و منهم من لم يؤمن به

***وَ قَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ نُورًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْهُدَى

كَمَا سَمَّاهُ رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ فَقَالَ: تَعَالَى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشُّورَى: 52]

(وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا)

من الواجبات والمستحبات.

(يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)

فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر،

(خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا)

أي: و من لم يؤمن بالله و رسوله، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ}

التذكير بقدرة الله

*** كقوله عن نوح{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح: 15]

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } [الإسراء: 44]

–ثم أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع و من فيهن و الأرضين السبع و من فيهن، و ما بينهن،

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾

*** صحيح البخاري -2452

عن سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»

صحيح البخاري -2454

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

و أنزل الأمر، و هو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد و وعظهم،

–و كذلك الأوامر الكونية و القدرية التي يدبر بها الخلق،

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

و يعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها،

و إحاطة علمه بجميع الأشياء

فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة و أسمائه الحسنى و عبدوه و أحبوه و قاموا بحقه،

فهذه الغاية المقصودة من الخلق و الأمر معرفة الله و عبادته،

فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين،

و أعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون.

66-تفسير سورة التحريم-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾
قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ
بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ
مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

***سنن النسائي -3959

عَنْ أَنَسٍ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا
فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: 1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

السنن الكبرى للنسائي

9112 -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

«لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَسْأَلُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ» قَالَ اللهُ تَعَالَى

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: 4]

فَحَجَّ عُمَرُ، وَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ،

وَ عَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ
فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺاللَّتَانِ قَالَ اللهُ لَهُمَا
{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: 4]
قَالَ عُمَرُ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ
صحيح البخاري
4911 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
قَالَ: «فِي الحَرَامِ يُكَفَّرُ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
«(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ)»( )
***صحيح البخاري
4912 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَ يَمْكُثُ عِنْدَهَا،
فَوَاطَيْتُ أَنَا وَ حَفْصَةُ عَلَى، أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا
فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ،
قَالَ: «لاَ، وَ لَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ،
وَ قَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»( )

(في الحرام) أي إذا حرم على نفسه ما يحل له كما إذا قال حرام علي أكل اللحم
{أو قال لزوجته أنت علي حرام.
(يكفر) كفارة يمين وهذا إذا لم ينو الطلاق فإن نوى الطلاق وقع كما نوى.
(أسوة) قدوة. / الأحزاب 21 /.
وقرأها عاصم بضم الهمزة حيث كانت وقرأ الجمهور بكسرها]
(فواطيت) اتفقت وأصله
(فواطأت) وهو كذلك في بعض النسخ وفي بعض النسخ (فتواطأت).
(مغافير) جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط.

صحيح البخاري -6691

عن عَائِشَةَ: تَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَ يَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَ حَفْصَةُ:

أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺفَلْتَقُلْ:

إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ،

فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ،

فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَ لَنْ أَعُودَ لَهُ»

فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: 1]

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحريم: 4]. لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} [التحريم: 3].

لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا»،

و قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: عَنْ هِشَامٍ:

«وَ لَنْ أَعُودَ لَهُ، وَ قَدْ حَلَفْتُ، فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا»

احاديث اخري من هنا

هذا عتاب من الله لنبيه محمد ﷺ، حين حرم على نفسه سريته « مارية »

أو شرب العسل، مراعاة لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة،

فأنزل الله تعالى هذه الآيات

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ)

قصة النبى ﷺو بعض أزواجه1-5

(وقد حلفت) على أن لا أعود لشرب العسل عندها]

أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة و الوحي و الرسالة

(لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ)

من الطيبات، التي أنعم الله بها عليك و على أمتك.

(تَبْتَغِى)

بذلك التحريم

(مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، و رفع عنه اللوم، و رحمه،

و صار ذلك التحريم الصادر منه، سببًا لشرع حكم عام لجميع الأمة،

فقال تعالى حاكما حكما عاما في جميع الأيمان:

(قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ)

أي: قد شرع لكم، و قدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث،

و ما به الكفارة بعد الحنث، و ذلك كما في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة: 87 – 89]

فكل من حرم حلالا عليه، من طعام أو شراب أو سرية، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة،

و قوله:

(وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ)

أي: متولي أموركم، و مربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم و دنياكم، و ما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم،

(وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ)

الذي أحاط علمه بظواهركم و بواطنكم،

و هو الحكيم في جميع ما خلقه و حكم به،

فلذلك شرع لكم من الأحكام،ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، و مناسب لأحوالكم.

و قوله:

(وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ)

قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها،

أسر لها النبي ﷺ حديثًا، و أمر أن لا تخبر به أحدًا،

فحدثت به عائشة رضي الله عنهما،

وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ

و أخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفها ﷺ، ببعض ما قالت،

و أعرض عن بعضه، كرمًا منه ﷺو حلمًا،

فـــــــ(قَالَتْ) له:

(مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ)

الخبر الذي لم يخرج منا؟

(قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ)

الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم السر و أخفى.

و قوله: (إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ)

الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجهﷺ عائشة و حفصة رضي الله عنهما،

كانتا سببًا لتحريم النبيﷺ على نفسه ما يحبه،

فعرض الله عليهما التوبة، و عاتبهما على ذلك،

(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ)

و أخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت و انحرفت عما ينبغي لهن،

من الورع و الأدب مع الرسولﷺو احترامه، و أن لا يشققن عليه،

(وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ)

أي: تعاونا على ما يشق عليه، و يستمر هذا الأمر منكن،

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾

أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون،

و من كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، و غيره ممن يناوئه مخذول ،

و في هذا أكبر فضيلة و شرف لسيد المرسلينﷺ

حيث جعل الباري نفسه الكريمة ، و خواص خلقه، أعوانًا لهذا الرسول الكريم.

و هذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى،

ثم خوفهما أيضا، بحالة تشق على النساء غاية المشقة، و هو الطلاق،

الذي هو أكبر شيء عليهن، فقال:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾

*جاء في اسباب النزول من هنا

أي: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقكن، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطرًا

إليكن، فإنه سيلقى و يبدله الله أزواجًا خيرًا منكن، دينا وجمالا

و هذا من باب التعليق الذي لم يوجد، و لا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن،

و لو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات،

﴿مُّسۡلِمَٰتٍ﴾

الجامعات بين الإسلام، و هو القيام بالشرائع الظاهرة،

﴿مُّؤۡمِنَٰتٍ﴾

و الإيمان، و هو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد و أعمال القلوب.

(قَٰنِتَٰتٍ)

القنوت هو دوام الطاعة و استمرارها

(تَٰٓئِبَٰتٍ)

عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، و التوبة عما يكرهه الله،

(عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ)

***صائمات

(ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا)

أي: بعضهن ثيب، و بعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ، فيما يحب،

فلما سمعن – رضي الله عنهن– هذا التخويف و التأديب،

بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ،

فكان هذا الوصف منطبقًا عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين،

و في هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال

و أعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على

أنهن خير النساء و أكملهن.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه و شروطه.

فـــــــ(قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا)

***و في معني هذه الاية قول النبي في سنن أبي داود

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَ هُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَ اضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَ هُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَ فَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»،

قَالَ الْفُقَهَاءُ: وَ هَكَذَا فِي الصَّوْمِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَمْرِينًا لَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ، لِكَيْ يَبْلُغَ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَمُجَانَبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

❍موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة،

و وقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، و القيام بأمره امتثالا و نهيه اجتنابًا،

و التوبة عما يسخط الله و يوجب العذاب، و وقاية الأهل و الأولاد ،

بتأديبهم و تعليمهم، و إجبارهم على أمر الله،

فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه،

و فيما يدخل تحت ولايته من الزوجات و الأولاد

و غيرهم ممن هو تحت ولايته و تصرفه.

و وصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال:

(وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ) كما قال تعالى:

{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }

[الأنبياء: 98].

(عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ)

أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يفزعون بأصواتهم و يخيفون بمرآهم، و يهينون أصحاب النار بقوتهم، و يمتثلون فيهم أمر الله،

الذي حتم عليهم العذاب و أوجب عليهم شدة العقاب،

***أَيْ: تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَ الْكَثَافَةِ وَ الْمَنْظَرِ الْمُزْعِجِ.

(لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

وهذا فيه أيضًا مدح للملائكة الكرام، و انقيادهم لأمر الله،

و طاعتهم له في كل ما أمرهم به.

﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾

عن مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ قال: حججتُ حجةً؛ فنزلتُ سِكَّةً مِنْ سِكَكِ الكوفة، فخرجتُ في ليلةٍ مظلمةٍ فإذا بصارخٍ يصرخُ في جوفِ الليلِ وهو يقول: إلهي؛ وعزتِك وجلالِك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي، وغرَّنِي سترك المرخى عليَّ، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليَّ، فالآن مِن عذابك مَن يستنقذني؟! وبحبلِ مَنْ أتصلُ إذا قطعتَ حبلك عني؟! واشباباه! واشباباه! قال: فلما فرغ من قوله؛ تلوتُ آيةً من كتابِ الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ [1]، فسمعتُ حركةً شديدةً ثم لم أسمَعْ بعدها حِسًّا فمضيتُ، فلما كانَ من الغَدِ رجعتُ في مدرجتي فإذا جِنَازةٌ قد وُضعت، وإذا بعجوزٍ كبيرة، فسألتها عن أمرِ الميِّتِ – ولم تكن عرفتني – فقالت: هذا رجل – لا جزاه الله إلا جزاءه – مرّ بابني البارحةَ وهو قائمٌ يصلي؛ فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني تفطرت مرارتُه فوقع ميتًا[2].

[1] التحريم: ٦.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ ﴾

أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ)

أي: فإنه ذهب وقت الاعتذار، و زال نفعه،

(إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال،

و أنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، و التكذيب بآياته، و محاربة رسله و أوليائه.

صحيح البخاري العودة

2468 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا:

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: 4]

فَحَجَجْتُ مَعَهُ،

فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ،

فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ،

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺاللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا:

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: 4]؟

فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ،

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ:

إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ،

وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،

فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا،

فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ،

وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ،

وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ،

فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ،

فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي،

فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي،

فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ،

فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺلَيُرَاجِعْنَهُ،

وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ،

فَأَفْزَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ:

أَيْ حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ

أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَهْلِكِينَ

لاَ تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ، وَلاَ تَهْجُرِيهِ، وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ،

وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ،

وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ –

وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا،

فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ

فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا،

وَ قَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ،

وَ قَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟

قَالَ: لاَ بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ،

قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ،

فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،

فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا،

فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ العودة

أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

قَالَتْ: لاَ أَدْرِي هُوَ ذَا فِي المَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ المِنْبَرَ،

فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا،

ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا،
فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ،
فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ:
ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ،
حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ،
فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ،
فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ،
ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الغُلاَمَ
فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ،
فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا،
فَإِذَا الغُلاَمُ يَدْعُونِي
قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ،
فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ،
قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
ثُمَّ قُلْتُ وَ أَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ،
فَقَالَ: «لاَ»، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ:
أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ،
فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ،
فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ،
فَقُلْتُ: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ،
وَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى،

فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ،
ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ،
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ،
فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ،
فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ،
وَ أُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ،
وَ كَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ:
«أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي
فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ،
وَ كَانَ قَدْ قَالَ:
«مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ»
فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا،
فَقَالَتْ لَهُ: عَائِشَةُ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا،
وَ إِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ»وَ كَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَ عِشْرِينَ،
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ: آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، العودة
فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»،
قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ،
ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28]
إِلَى قَوْلِهِ {عَظِيمًا} [النساء: 27] "،
قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ،

ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ( )

ش (صغت قلوبكما) مالت إلى تحريم مارية القبطية رضي الله عنها. / التحريم 4 /.
(فعدل) مال عن الطريق.
(بالإداوة) إناء صغير من جلد يتخذ للماء.
(فتبرز) خرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة.
(واعجبي) أتعجب لعدم معرفتك ذلك وأنت مشهور بعلم التفسير أو أتعجب لحرصك على السؤال عما لا ينتبه له إلا الحريص على العلم.
(استقبل عمر الحديث) بدأ به من أوله.
(الأمر) الوحي وما ينزل من الأوامر الشرعية وما يحدث في المدينة.
(نغلب النساء) يكون رأينا هو المقدم ولا تراجعنا أزواجنا في شيء.
(فطفق) فشرع.
(أدب) أخلاق وسلوك.
(راجعتني) ردت علي الجواب.
(لتهجره) تترك مخاطبته والعشرة معه.
(فأفزعني) فأخافني.
(بعظيم) بأمر عظيم.
(أفتامن) أفتأمن.
(أن يغضب) أن لا يغضب.
(لا تستكثري) لا تكثري عليه في الطلب.
(أوضأ) أجمل. (تنعل النعال) تعد خيلها ودوابها.
(مشربة) غرفة صغيرة مرتفعة عن الأرض.
(رمال حصير) حصير منسوج وقيل رمال الحصير ضلوعه المتداخلة بمنزلة الخيوط في الثوب المنسوج.(أدم) جلد مدبوغ.
(أستأنس) أتبصر هل أقول قولا أونسه به وأطيب وقته وأزيل منه غضبه.
(شيئا يرد البصر) ذا قيمة يرجع البصر راضيا.
(أهبة) جمع إهاب وهو الجلد الذي لم يدبغ.
(في شك) من أنه ادخر لنا النعيم في الآخرة.
(من أجل ذلك الحديث) كان اعتزاله بسبب إفشاء ذلك الحديث.

العودة( )

صحيح البخاري -402

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، العودة

وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

1-لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125]

2-وَ آيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ،

3-وَ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ:

(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ " ( )

(أفشته) أذاعته ونشرته. (موجدته) شدة غضبه

(آية التخيير) وهي قوله تعالى {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما}. / الأحزاب 28 - 29 /.

(أمتعكن) أعطيكن شيئا من المال تتنتفعن به ويكون لكن بلغة بعد ذهاب نفقة الزوج.

(أسرحكن) أطلقكن.

(جميلا) لا إضرار فيه.

(المحسنات) اللاتي آثرن الباقية على الفانية.

(تستأمري) تستشيري]

(وافقت ربي في ثلاث) أي وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت.

(آية الحجاب) وهي قوله تعالى {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك} /الأحزاب 59 /

(البر والفاجر) التقي والفاسق.

العودة

اسباب نزول الاية 5 في صحيح مسلم العودة

(1479) عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،
قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺنِسَاءَهُ،
قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ:
طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺنِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ،
فَقَالَ عُمَرُ، فَقُلْتُ: لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ،
فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ،
فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ،
أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟
وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَا يُحِبُّكِ،
وَ لَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا:
أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ:
رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ الْمَشْرُبَةِ،
مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ - وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺوَيَنْحَدِرُ - فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا،
ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي،

(هذه الآية) وهي قوله تعالى {عسى ربكما إن طلقكن أن يبدله} / التحريم 5 /]

فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ،
وَاللهِ، لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺبِضَرْبِ عُنُقِهَا، لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا،
وَ رَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنِ ارْقَهْ،
فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ،
فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ،
وَ إِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ،
وَ مِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ،
وَ إِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ،
قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»
قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ،
وَ مَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ،
وَ هَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى،
وَ ذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَ الْأَنْهَارِ،
وَ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَ صَفْوَتُهُ، وَ هَذِهِ خِزَانَتُكَ،
فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَ لَهُمُ الدُّنْيَا؟»،
قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ، وَ أَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟
فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَ مَلَائِكَتَهُ، وَ جِبْرِيلَ، وَ مِيكَائِيلَ،
وَ أَنَا، وَ أَبُو بَكْرٍ، وَ الْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ،
وَ قَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَ أَحْمَدُ اللهَ بِكَلَامٍ،

إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ،
وَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ:
{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم: 5]،
{وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: 4]
وَ كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ؟
قَالَ: «لَا»،
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،
إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَ الْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى،
يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ،
فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ،
قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»،
فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ،
وَ حَتَّى تَكَسَّرَ فَضَحِكَ، وَ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا،
ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، وَ نَزَلْتُ، فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ بِالْجِذْعِ،
وَ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ،
قَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ»
فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ،
فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي،
لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ،

وَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83] فَ كُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ( )

(ينكتون بالحصى) أي يضربون به الأرض كفعل المهموم المفكر

(عليك بعيبتك) المراد عليك بوعظ بنتك حفصة قال أهل اللغة العيبة في كلام العرب وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته بها

(خزانته) الخزانة مكان الخزن كالمخزن وما يخزن فيه يسمى خزينة

(المشربة) قال في الصباح بفتح الميم والراء الموضع الذي يشرب منه الناس وبضم الراء وفتحها الغرفة

(أسكفة) هي عتبة الباب السفلي

(مدل رجليه) أي مرسلهما

(نقير) أي على شيء من خشب نقر وسطه حتى يكون كالدرجة قال النووي هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ وذكر القاضي أنه بالفاء بدل النون وهو فقير بمعنى مفقور مأخوذ من فقار الظهر وهو جذع فيه درج

(أن أرقه) أي أشار إلي رباح بالصعود إلى المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم

ف (أن) تفسيرية و

(ارقه) أمر من الرقي والهاء في آخره للسكت وفي الكلام حذف تقديره فرقيت فدخلت (قرظا) القرظ ورق السلم يدبغ به

(أفيق) هو الجلد الذي لم يتم دباغه وجمعه أفق كأديم وأدم وقد أفق أديمه يأفقه

(فابتدرت عيناي) أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي

(تحسر الغضب) أي زال وانكشف

(كشر) أي أبدي أسنانه تبسما ويقال أيضا في الغضب قال ابن السكيت كشر وبسم وابتسم وافتر كله بمعنى واحد فإن زاد قيل قهقه وزهزق وكركر

(أتشبث) أي مستمسكا بذلك الجذع الذي هو كالسلم للغرفة

(يستنبطونه) قال الزمخشري في الكشاف أي الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ
إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا
فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ
مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ
وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ
ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ
وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

(يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا)

قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية،

و المراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله،

لا يريد بها إلا وجهه و القرب منه، و يستمر عليها في جميع أحواله.

***تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً، تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ

وَ تَلُمُّ شَعَثَ التَّائِبِ وَ تَجْمَعُهُ، وَ تَكُفُّهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الدَّنَاءَاتِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عن النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ:

سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا}

قَالَ: يُذْنِبُ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ.

وَ لِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ:-

1- يُقلعَ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ،

2-و يندمَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي،

3-و يعزِم عَلَى أَلَّا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

4-ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِآدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ.

-مصنف ابن أبي شيبة -27751

عَنِ ابْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ لَهُ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: " التَّوْبَةُ نَدَمٌ قَالَ: نَعَمْ "

وَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عن الْحَسَن يَقُولُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ:
أَنْ تُبغِض الذنبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ، وَ تَسْتَغْفِرَ مِنْهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ.
فَأَمَّا إِذَا حَزَم بِالتَّوْبَةِ و صَمم عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تَجُب مَا قَبْلَهَا مِنَ الْخَطِيئَاتِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ:
مسند أحمد ط الرسالة -17827
عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، قَالَ: لَمَّا أَلْقَى الله عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ،
قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺلِيُبَايِعَنِي، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ، فَقُلْتُ:
لَا أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، قَالَ:
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ" يَا عَمْرُو
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، يَا عَمْرُو
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ.
***وَ هَلْ مِنْ شَرْطِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ الاستمرارُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ
كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ
وَ فِي الْأَثَرِ: "لَا يَعُودُ فِيهِ أَبَدًا"
أَوْ يَكْفِي الْعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِي تَكْفِيرِ الماضي، بحيث لو وقع منه
ذَلِكَ الذَّنْبُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ضَارًّا فِي تَكْفِيرِ مَا تَقَدَّمَ،
لِعُمُومِ قَوْلِهِ، ﷺ: "التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا؟ ".
وَ لِلْأَوَّلِ أَنْ يَحْتَجَّ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: فِي
صحيح البخاري عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ:
«مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ،
وَ مَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَ الآخِرِ
فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنَ التَّوْبَةِ،

فَالتَّوْبَةُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(عَسَىٰ)

*** من الله موجبة

(رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)

و وعد عليها بتكفير السيئات، و دخول الجنات، و الفوز و الفلاح،

(يَوْمَ لَا يُخْزِى)

*بإدخالهم النار: أيسر التفاسير

(ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ)

***راجع سورة الحديد

حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، و يمشون بضيائه،

و يتمتعون بروحه و راحته، و يشفقون إذا طفئت الأنوار، التي تعطى المنافقين،

***هَذَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يَرَون يَوْمَ الْقِيَامَةِ نورَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طفِئ.

(رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ)

و يسألون الله أن يتمم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم،

و يوصلهم ما معهم من النور و اليقين، إلى جنات النعيم،و جوار الرب الكريم،

و كل هذا من آثار التوبة النصوح.

(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩

نداء للنبى بوجوب جهاد الكفار

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ)

يأمر الله تعالى نبيه ﷺبجهاد الكفار والمنافقين،

(جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ)

*الميسر:جاهد الذين أظهر و ا الكفر و أعلنوه، و قاتلهم بالسيف،

(وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ)

*الميسر: و جاهد الذين أبطنوا الكفر
و أخفوه بالحجة
و إقامة الحدود و شعائر الدين،

(وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ)

*و استعمل مع الفريقين الشدة و الخشونة في جهادهما: الميسر

○و الإغلاظ عليهم في ذلك،

و هذا شامل لجهـــــادهم:-

1-بإقـــــامة الحجة عليهم

2-و دعـــــوتهم بالموعظة الحسنة ،

3-و إبطـــــال ما هم عليه من أنواع الضلال،

4-و جهادهم بالسلاح و القتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله و ينقاد لحكمه،

فإن هذا يجاهد و يغلظ له،

و أما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن،

(وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)

فالكفار و المنافقون لهم عذاب في الدنيا،

بتسليط الله لرسوله و حزبه عليهم و على جهادهم وقتالهم،

وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقي خاسر.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

هذان المثلان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم:-

1- أن اتصال الكافر بالمؤمن و قربه منه لا يفيده شيئًا،

2–و أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا مع قيامه بالواجب عليه.

فكأن في ذلك إشارة و تحذيرًا لزوجات النبي ﷺعن المعصية،

و أن اتصالهن به ﷺ، لا ينفعهن شيئًا مع الإساءة، فقال:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾

أي: المرأتان

ضرب مثلين لنساء كافرات و مؤمنات 10-12

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾

و هما نوح، و لوط عليهما السلام.

*** نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ عِنْدَهُمَا فِي صُحْبَتِهَا لَيْلًا وَ نَهَارًا يُؤَاكِلَانِهِمَا وَ يُضَاجِعَانِهِمَا وَ يُعَاشِرَانِهِمَا أَشَدَّ الْعِشْرَةِ وَ الِاخْتِلَاطِ

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾

في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما،

و هذا هو المراد بالخيانة

لا خيانة النسب و الفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط،

و ما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغيًا،

***مَا زَنَتَا، أَمَّا امْرَأَةُ نُوحٍ فَكَانَتْ تُخْبِرُ أَنَّهُ مَجْنُونٌ،

وَ أَمَّا خِيَانَةُ امْرَأَةِ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى أَضْيَافِهِ.

وَ قَالَ العَوفِي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا أَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى عَورتيهما:-

-فَكَانَتِ امْرَأَةُ نُوح تَطَلع عَلَى سِرِّ نُوح،

فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوحٍ أَحَدٌ أَخْبَرَتِ الْجَبَابِرَةَ مَنْ قَوْمِ نُوحٍ بِهِ،
-وَ أَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ إِذَا أَضَافَ لُوطٌ أَحَدًا أَخْبَرَتْ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ يَعْمَلُ السُّوءَ.

(فَلَمْ يُغْنِيَا)

أي: نوح ولوط

(عَنْهُمَا)

أي: عن امرأتيهما

(مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ)

لهما

(ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ)

(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ)

و هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها

***وَ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آلِ عِمْرَانَ: 28] .

قَالَ: قَتَادَةُ كَانَ فِرْعَوْنُ أَعْتَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَ أَبْعَدَهُ
فَوَاللَّهِ مَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفر زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا
لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ.

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ)

فوصفها الله بالإيمان و التضرع لربها، و سؤالها لربها أجل المطالب،

و هو دخول الجنة، و مجاورة الرب الكريم،

(وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ)

*الجزائري:و أنقذني من سلطان فرعون و فتنته

وَعَمَلِهِۦ

*الجزائري:و مما يصدر عنه من أعمال الشر

وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

*الجزائري:و أنقذني من القوم التابعين له في الظلم و الضلال و من عذابهم

–وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون و أعماله الخبيثة،

و من فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها،

فعاشت في إيمان كامل، و ثبات تام، و نجاة من الفتن،

و لهذا قال النبي ﷺ:

(كمل من الرجال كثير، و لم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران،

و آسية بنت مزاحم، و خديجة بنت خويلد،

و فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام) .

و قوله (وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا)

أي: صانته و حفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، و عفتها، و نزاهتها.

***وَ الْإِحْصَانُ: هُوَ الْعَفَافُ وَ الْحُرِّيَّةُ،

(فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا)

بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها

فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام

الرسول الكريم و السيد العظيم.

(وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ)

و هذا وصف لها بالعلم و المعرفة،

فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية و القدرية،

و التصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق،

و لا يكون ذلك إلا بالعلم و العمل،

و لهذا قال (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)

أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية و خشوع،

و هذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة،

و الصديقية: هي كمال العلم و العمل.

*** مسند أحمد ط الرسالة -2668

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ،
قَالَ:تَدْرُونَ مَا هَذَا؟
فَقَالُوا: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:
1-خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ،
2-وَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ،
3-وَ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ،
4-وَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ "
مشكاة المصابيح
وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
« كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ
وَ لَمْ يَكْمُلْ مِنَ النساءِ إلا مريمُ بنتُ عِمْرَانَ
وَ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ
وَ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ